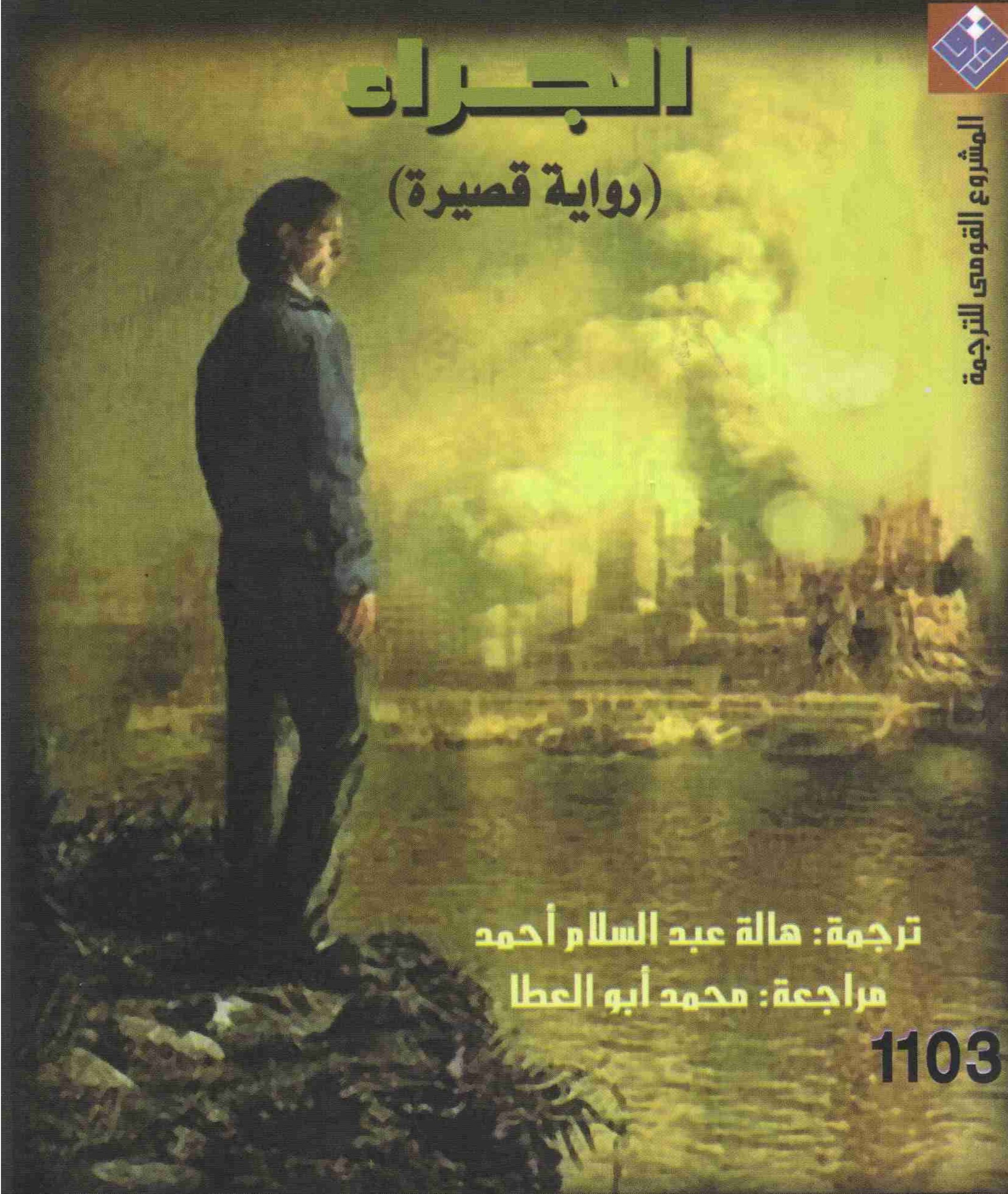
المركز القومى للترجمة
الإبداع القصصى

ماريو بارغس يوسا

الجراء

(رواية قصيرة)



المشروع القومى للترجمة

ترجمة: هالة عبد السلام أحمد
مراجعة: محمد أبو العطا

1103

الجِراء

(رواية قصيرة)

المركز القومى للترجمة
المشروع القومى للترجمة
إشراف: جابر عصفور

سلسلة: الإبداع القصصى
محرر السلسلة: خيرى دومة

- العدد: ١١٠٣
- الجراء
- ماريو بارغس يوسا
- هالة عبد السلام أحمد
- محمد أبو العطا
- الطبعة الأولى ٢٠٠٧

هذه ترجمة كتاب:
Los Cachorros
Por: Mario Vargas Llosa

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة.
EL Gabalaya st. Opera House, El Gezira, Cairo
e.mail: egyptcouncil@ yahoo.com

الجِراء

(رواية قصيرة)

تأليـــف: ماريو بارغس يوسا

ترجمـــة: هالة عبدالسلام أحمد

مراجعـــة: محمـــد أبـــو العطـــا

٢٠٠٧

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

يوسا، ماريو بارغس
الجراء: رواية قصيرة - تأليف: ماريو بارغس يوسا، ترجمة: هالة عبد السلام أحمد، مراجعة: محمد أبوالعطا. ط١ - القاهرة: المركز القومى للترجمة، ٢٠٠٧م.
٧٥ ص، ٢٠سم. (المشروع القومى للترجمة)
تدمك ٤١٢٦ ٤٣٧ ٩٧٧
١- القصص الإسبانية
أ- أحمد، هالة عبد السلام (مترجمة)
ب- أبو العطا، محمد (مراجع)
ج- العنوان ٨٦٣

رقم الإيداع: ١٥٧١٣ / ٢٠٠٧
الترقيم الدولى: 6 -412 -437 -977
طبع بمطابع دار الدفاع للصحافة والنشر

مقدمة المترجمة

بعدما أنهى ماريو بارغس يوسا (١٩٣٦-) رواية *"المنزل الأخضر"* (١٩٦٥)، وبينما كان يلتقط أنفاسه قبل شروعه فى كتابة روايته الثالثة، قرر كتابة قصة كانت تجول بخاطره منذ زمن. وقتها كان بارغس يوسا فى التاسعة والعشرين من عمره، وكان يومئذ أصغر كتاب الـ Boom، وهو الاتجاه الأدبى الذى يضم أسماء: بورخس، وكورتاثر، وأستورياس، وفوينتس، وكاربنتيير.

وبالفعل انتهى بارغس يوسا من كتابة النسخة الأولى من *"الجراء"* عام ١٩٦٥ ، ثم ظهرت الطبعة النهائية لها عام ١٩٦٧ من دار نشر Lumen وعلى غلافها صورة للمصور الشهير خابيير ميسيراتشس.

والحادثة المركزية فى هذه القصة حدثت بالفعل فى بيرو، وقرأها بارغس يوسا خبرًا فى إحدى الجرائد. ورويدًا رويدًا بدأ الموضوع يتبلور فى ذهنه إلى أن خرجت للنور قصة قصيرة "طويلة" أو- إذا ما جاز التعبير- رواية قصيرة. ونسج الكاتب خيوطها حول البطل الضحية، وأحاطه بشخوص، وذكريات، وحكايات انبعثت من محيط وفترة زمنية ما تزال تغذى مخيلة

الكاتب المحمومة وطاقته الخلاقة: الحياة المدرسية، فترة الزمن الشجى الضائع التى كانت فــى الوقــت نفســه ســنين الإدراك والوعى.

والقصة انصهار بين ذكريات الكاتب والحادثة التى قــرأ عنها فى الصحيفة، حيث تدور الأحداث فى مدرسة تشبه تمامًــا مدرسة دى لاسال التى درس بها الكاتب التى تقع فــى مكــان متواضع، نوعًا ما، فى ليما، والمناخ الذى عاشه فى تلك الحقبة.

ونجد فى هذه الرواية القصيرة أن تلاميذ المدرسة، لكــى يتخطوا جدار السلوك العائلى المنغلق والتربية التقليدية، يتخذون أقنعة مريعة، يصارعون العالم الراشــد؛ فيكــذبون للوصــول لأغراضهم، وينتهى بهم الأمر بأن يصبحوا سربًا من الكــلاب المخادعة، أو مغتصبى أدوار الأكبر سنًّا، أو محتالين مسعورين كما يحدث فى رواية *"المدينة والكلاب"* (١٩٦٣).

وفى بادئ الأمر اختار الكاتب لروايتــه اســم *"بيتشــولا كويار"*، وهو عنوان فظ ومستفز للقارئ البيروانى (وذلــك لأن كلمة *بيتشولا*، التى تعنى العضو الذكرى، لا يمكن الــتلفظ بهــا هكذا وبالطبع لا يمكن اتخاذها عنوانًا لكتاب)، لذا أطلــق علــى القصة فى طبعتها الأولى عام ١٩٦٧: *"الجراء: بيتشولا كويار"*، وجاء الاسم كعنوان ثانوى، ثم أصبح العنوان، فقط، *"الجراء"*.

وبيتشولا كويار – وهو اسم فتى الطبقة المتوسطة العليا، الذى يعيش فى حى ميرافلورس فى العاصمة ليما – تقع له حادثة تراجيدية تدمغه طيلة حياته وتجعله مختلقًا. إلا أنه فى بادئ الأمر لا يجد صعوبة فى التعايش مع زملائه، على الرغم من النقص الذى يعانيه، بل على العكس، فقد أصبح الأصدقاء يحسدونه على ما هو عليه لما يحظى به من اهتمام كل من حوله. بيد أن الأمر لم يقف عند هذا الحد، فمع بلوغ كويار سن المراهقة، سن التعرف على الفتيات ومصاحبتهن، تظهر بوادر الشروخ فى الاصطناع الذى خطه كويار لنفسه، ويبدأ معها المعاناة والتلعثم فى الكلام. والقصة، إذن، هى التوغل فى هذا الاختلاف، والمحاولة الجمعية لشرحه، والتباعد المتزايد لكويار من نظرائه إلى حدِّ البعد السحيق.

تبدو *"الجراء"* فى مجملها رواية شديدة البساطة ذات إيقاع سريع، إلا أنها مركبة من حيث التكوين؛ فالرواية قائمة على تناوب صوت الراوى فى ضمير الغائب والمتكلم. والقصة يمكن قراءتها على مستويين: مستوى القص الواقعى، والمستوى الرمزى. وهذا الأخير يمكن بدوره أن يكون شجبًا للتربية الدينية التى بترت وقمعت جيلاً بأكمله هو جيل بارغس يوسا نفسه، أو يمكن اعتبارها، أيضًا، رمزًا لمصير الفنان فى أمريكا اللاتينية. وفى كل الأحوال، وأيًّا كانت الرموز والتأويلات التى تحيل

عليها القصة، فإن "*الجراء*" هى من التكثيف بمكـان، وتتمتـع بالطابع المبهم الذى يسم كل الأعمال الروائية العظيمة.

ويجدر بنا، فى النهاية، أن نقول: فى هذه القصـة أيضًا تلعب النظرات، والحركات، والإيماءات، والـتلامس الجسـدى، والتلعثمات دورًا حيويًا فى العمل. إنها رواية مغنَّاة، على حـد قول بارغس يوسا نفسه، أكثر منها مروية؛ فالموسيقى بها تنبـع من الكلام اليومى، ومن أصوات الرواة. واللغة فيهـا مختـارة بعناية فائقة، ونجدها، كـذلك، تعـج بالألفـاظ والمصـطلحات البيروانية الدارجة، ولغة الأطفال والشباب المستخدمة فى تلـك الحقبة؛ وكذلك بالأصوات، وهو ما يذكرنا باللغة الكلاسية للـــ *comic strip* ، أى بالصوت والصورة.

وقد مُثلت "*الجراء*" فى السينما عام ١٩٧٣.

هالة عبد السلام أحمد

القاهرة – فبراير ٢٠٠٧

الجِراء

إلى ذكرى
سيباستيان سالاثار بوندى(*)

I

كانوا فى تلك السنة لايزالون يرتدون السراويل القصيرة، لـــم نكن ندخن بعد، ومن بين الرياضات كانوا يفضلون كرة القدم، نتدرب على ركوب الموج، والغطس وذلك بالقفز من فـــوق الـــدرج الثـــانى لمقفز "تيراسا"، وكانوا مشاغبين، جُردا، فضوليين، تملؤهم الحيويـــة، جسورين. وفى هذه السنة التحق كويار بمدرسة "تشامبجنات".

"أيها الأب ليونثيو، هل حقًّا سيلتحق بالمدرسة طالب جديد بالصف "الثالث A"؟". "نعم" أزاح الأب ليونيثـــو بيـــده خصـــلة الشعر التى غطت وجهه، "ولتكفوا الآن عن الحديث".

(*) كاتب من بيرو (١٩٢٥-١٩٦٥)، نظم الشعر وكتب فى المسرح والرواية والمقـــال، ارتبط بمجموعة كُتّاب "جيل الخمسينيات"، الذين كانوا يستخدمون الأدب سلاحًا للإدانة الاجتماعية. (المترجمة)

ظهر ذات صباح، ساعة اصطفاف الطابور، ممسكًا بيد أبيه، أوقفه الأب ليونيثو فى الصف الأول لأنه، فى ذلك الوقت، كان أقصر قامة حتى من روخاس، أما فى الفصل فأجلسه الأب ليونيثو فى الخلف، معنا، "على هذا المقعد الخالى يا فتى". "ما اسمك؟"، "كويار، وأنت؟" "تشوتو"، "وأنت؟" "تشينجولو"، "وأنت؟" "مانيوكو"، "وأنت؟" "لالو".(*) "هل أنت من ميرافلورس؟" "نعم، أقيم هناك منذ الشهر الماضى، ومن قبل كنت أعيش فى سان انطونيو، أما الآن فأنا فى ماريسكال كاستيا، بالقرب من سينما كولينا".

كان منكبًّا على دراسته (بيد أنه لم يكن مغرورًا)؛ فى الأسبوع الأول كان الخامس على الفصل، وفى الأسبوع الذى يليه كان الثالث، ثم أصبح دومًا يحتل المرتبة الأولى، حتى وقوع الحادث، وعندها بدأ يتكاسل، وأصبحت درجاته منخفضة.

الأب لينوثيو: "اذكر أسماء الأربعة عشر ملكًا فى بيرو، يا كويار"، وهو يذكرهم دون توقف، "الوصايا العشر، مقاطع المارش العسكرى الثلاثة، قصيدة *"رايتى"* للوبيث ألبوخر" وهو يتلوها دون توقف. فيقول له لالو "إنك فذ يا كويار"، والأب لينوثيو "ذاكرة رائعة أيها الفتى، تعلموا يا أخساء!" فما يكون منه

(*) تمتلئ القصة بأسماء مصغرة وألقاب شهرة بدلا من أسماء الأشخاص، وذلك بغرض إضفاء جو من العائلية والحميمية.(المترجمة)

إلا أن يحك أظافره فى صدر سترته وينظر إلى كل من بالفصل من طرف عينيه بتعال (على سبيل المزاح، ففى الحقيقة لم يكن متعاليًا، وإن كان طائشاً بعض الشىء ومداعبًا، وهــو صــديق جيد؛ يساعدنا خلسة فى الاختبـارات، وفــى الفسـحة يعطينـا مصاصات، وحلوى، و"طوفى". وكان تشوتشو يقول له "يالك من محظوظ! فمصروفك أكثر من مصروفنا نحن الأربعــة معًــا". فيقول إنه يحصل عليه لدرجاته العالية، ونحن "حمــدًا لله أنــك إنسان طيب أيها المثابر على المذاكرة").

كانت حصص المرحلة الابتدائية تنتهى الساعة الرابعــة، وفى الرابعة وعشر دقائق يأمر الأب لوثيو بالانصراف، وفــى الرابعة والربع يهرول الطلاب إلى ملعب كرة القــدم؛ يقــذفون بحقائبهم وأكياسهم وأربطة أعناقهم على العشــب "أســرع يــا تشينجولوا أسرع، قف عند العارضة قبل أن يصل إليها غيرنا". وكان خودس(*) فى منزله يتحرك كالمجنون، هَوْو، يرفع ذيلــه، هَووو، هَووو، يكشر لهم عن أنيابه، هَووو هَووو هَووو، يقفــز قفزات جنونية، هَووو هَووو هَووو هَووو، يشد الأسلاك. قــال تشينجولو "ياللهول إذا ما هرب يومًا!"، ومانيوكو "لو حدث ذلك، فلابد من الوقوف دون حراك، فالكلاب الدانمركية تعض فقــط

(*) بمعنى يهوذا. تسمية الكلب فى هذا العمل بهذا الاسم يرتبط بتقليد أدبى ذى عدة دلائل، والمعنى الذى يرمى إليه بارغس يوسا هو الخائن. (المترجمة)

عندما تشم الخائف منها"، "من الذى قال لك ذلــك؟"، "والــدى". وقال تشوتو "أما أنا فأتسلق القوس وهكذا لن يصل إلـــىَّ"، أمـــا كويار فكان يصوب بيده وطاخ طاخ يتخيل أنه يضربه، يقطعــه إربا، يدفنه، ينظر إلى السماء ويردد: اوواووا، ثم يضـــع يديـــه حول فمه ويقول: اووووواوووواااااا، "ما رأيكم فـــى صـــياح طرزان؟".

كان اللعب يستمر فقط حتى الســاعة الخامســة، فعنــدها يخرج طلاب المرحلة المتوسطة، فيطردوننا، نحن الأصغر سنا، من الملعب طوعًا أو كرهًا. فنحمل - لاهثين ويغمرنا العــرق- حقائبنا، وكتبنا، وأربطة أعناقنا، ننفض ملابسنا ونخــرج إلـــى الشارع. ننزل عبر شارع الدياجونال ونحن نتقــاذف الحقائـــب وكأنها تمريرات كرة سلة: "هيا أمسك بهذه". ثم نعبـــر الحديقـــة عند أول شارع "لاس ديليثياث": "أمسكت بها!" "ما رأيك؟". وعند محل "الدونوفريو"،(*) الذى يقع عنـــد الناصـــية، كنـــا نشـــترى الجيلاتى "من الفانيليا؟"، "مشكل؟"، "ضع أكثر يا هنـــدى،(**) لا تغشنا، قليل من الليمون، يا لئيم، وكذلك بعض الفراولـــة". ثـــم يكملون النزول من شارع الدياجونال و"البيولين جيتانو"، دون أن ينبسوا ببنت شفة، ثم شارع بورتا، وعند إشارة المرور: شووب

(*) هى ماركة تجارية للجيلاتى والشوكولاتة. (المترجمة)
(**) بالنسبة للكاتب هذا التعبير له استخدامات عدة، فأحياناً يســتعمله للتحقيــر، وأحيانـــا للود، كل حسب مستخدمه. (المترجمة)

يلعقون، شووب يلتهمون الجيلاتى ويقفزون حتى مبنى سان نيكولاس وهناك يودعهم كويار "لا تتركنا الآن، لنذهب إلى "تراثاس" ونطلب الكرة من التشينو، ألا ترغب فى الانضمام لفريق الفصل؟، لكى تنضم لابد يا صديقى من التمرين، هيا، هيا تعال معنا، ولو إلى الساعة السادسة، سنلعب مباراة صغيرة هناك ياكويار". لا يستطيع، فوالده لا يسمح له، يجب أن يستذكر دروسه. يصطحبونه حتى منزله، وكيف سينضم لفريق الفصل إذا كان لا يتمرن؟! وفى النهاية نذهب بدونه إلى "تراثاس". قال تشوتو "فتى لطيف، لكنه كثير المذاكرة، ومن أجلها يهمل الرياضة"، لالو "الذنب ليس ذنبه، فوالده لابد أنه شخص غير لطيف"، وتشنجولو "بالطبع، أما هو فكان يتمنى الذهاب معنا، ومانيوكو "سيكون من الصعب أن ينضم للفريق، ليس فى لياقة تسمح له بذلك، وقدماه ينقصهما التمرين، علاوة على أنه ليست لديه أى قوة؛ لذا فسريعًا ما يصاب بالإجهاد، وباختصار فليس لديه ما يؤهله لذلك". "لكنه ماهر فى ضربات الرأس" رد تشوتو، قال لالو "وهو من مشجعينا ولابد من إلحاقه بالفريق بأى شكل"، تشنجولو "ليكون معنا"، ومانيوكو "نعم، لندخله الفريق، مع أن الأمر سيزداد صعوبة".

بيد أن كويار، العنيد والذى كان يتوق للعب مع الفريق، تدرب كثيرًا خلال فصل الصيف إلى الحد الذى جعله فى العام التالى يستطيع الفوز والحصول على مركز الجناح الأيسر فى

اختيار فريق الفصل. "العقل السليم فى الجسم السليم" قـال الأب آجوستين، "هل ترون؟ فمن الممكن أن يصبح الإنسان رياضـيًّا وفى الوقت نفسه متفوقًا فى الدراسة، فلتحذوا حـذوه". "كيـف استطعت ذلك؟" سأله لالو "من أين لك بهذه المهارة فى اللعـب وهذه التمريرات وهذا التصويب فى الزاوية؟"، وهـو: "دربنـى عليها ابن عمى تشيسباس. كان أبى يأخذنى كل يوم أحـد إلـى الملعب وهناك كنت أتابع اللاعبين المهـرة وتعلمـت حـيلهم، أفهمتم؟". أمضى الأشهر الثلاثة فى التمرين صباحًا ومساءً وفى المراقبة ولم يذهب خلال تلك الفترة لا إلـى السـينما ولا إلـى الشاطئ. "تحسسوا عضلات ساقى، ألم تشتد وتقوَ؟". قال تشوتو للأب لوثيو "نعم تحسنت كثيرًا، هذا صحيح". ورد لالـو "إنـه مهاجم سريع ونشيط"، وتشينجولو "وينظم الهجوم، وعلاوة على ذلك فهو لا يفقد الحماس"، ومانيوكو "هل رأيته أيها الأب لوثيو وهو يتقدم إلى عارضة الخصم ليحصل على الكرة، بينما الفريق المنافس يسيطر على المباراة؟، لابد من إلحاقه بالفريق". كـان كويار يضحك بسعادة، ينفخ فى أظافره ثم يحكها فـى قمـيص الفرقة "الرابعة A"، ذى الكمَّين البيضاوين والصدر الأزرق، قلنا له: "ها قد ألحقناك بالفريق، فلا يركبنك الغرور".

فى شهر يوليو، ومن أجل المسابقة الداخلية، سـمح الأب آجوستين لفريق الفرقة "الرابعة A" أن يتدرب مرتين أسـبوعيًا، يوم الاثنين ويوم الجمعة، فى ميعاد حصّتى الرسم والموسـيقى.

وذلك بعد الفسحة الثانية عندما يصبح فناء المدرسة خاليًا تمامًا، ساعتها يكون الفناء مبللا برذاذ المطر الخفيف، وبرّاقًا كالمصقول حديثًا. ننزل نحن الأحد عشر لاعبًا إلى الملعب، بعد تبديل الزى المدرسى، ثم نخرج من حجرة تبديل الملابس بالأحذية الرياضية وزى الفريق الأسود، نتقدم صفًّا واحدًا فى خطوات رياضية، يتقدمنا لالو كابتن الفريق. ومن خلف نوافذ حجرات الدرس ترمقنا وجوه حاسدة. مرت نسمة باردة حركت مياه حمام السباحة ("هل ستستحم؟". "بعد المباراة، أما الآن فلا مبرر. ما هذا البرد؟!") والرايات وأعالى أشجار الحديقة من الكافور والتين التى تتدلى من فوق سور المدرسة الأصفر، وكان اليوم يمر سريعًا. قال كويار: "إذا تدربنا جيدًا وبقوة فسوف نفوز". بعد ساعة أطلق الأب لوثيو الصفارة، وبينما كان الطلاب يخرجون من الفصول لاصطفاف الطوابير فى الفناء، كنا نحن، أعضاء الفريق، نرتدى ملابسنا لنعود إلى منازلنا لتناول الغداء. بيد أن كويار كان يتأخر لأنه كان يستحم دائمًا بعد التمرين (قال له تشينجولو "إنك تقوم بكل ما يقوم به المحترفون. أتظن نفسك توتو تيرى؟".[*] وأحيانا كانوا هم أيضًا يستحمون، هُووو. بيد أن فى ذلك اليوم، هُووو، هُووو هووو، عندما ظهر خودس عند باب حجرة تبديل الملابس، هوو هوو هووو، كان لالو وكويار

(*) هو لاعب كرة وشخصية معروفة داخل الأوساط الرياضية فى بيرو. (المترجمة)

هما اللذان يستحمان: هووو هووو هووو. قفز كل من تشوتو وتشنجولو ومانيوكو من النافذة، أما لالو فصرخ وهرب واستطاع غلق باب الحمام على خطم الكلب الهولندى. هناك، منكفئًا، على البلاط الأبيض المائل للزرقة، والماء ينساب، يرتجف، سمع نباح خودس، بكاء كويار، صراخه، وسُمِع عواء، قفزات، ارتطامات، انزلاق، ثم فقط نباح. وبعد وقت غير قصير، "أقسم لكم (قال تشينجولو "كم من الوقت، دقيقتان؟"، "أكثر يا أخى"، وتشوتو "خمس؟" "أكثر، بل أكثر بكثير") سمعتُ صياح الأب لوثيو وسباب الأب ليونثيو ("هل كان بالإسبانية يا لالو؟"، "نعم وبالفرنسية أيضًا"، "هل فهمته؟"، "لا، ولكن أظن أنه كان سبابًا يا أبله، من نبرة صوته المحمومة")، بالخارج كان الانتظار، يا إلهى، طويلا، طويلا، يأس الأبوين وفزعهما الشديد". فُتِحَ الباب وكانا يحملانه، رآه بالكاد من خلف ثوب القسيس الأسود. "هل كان مغشيًّا عليه؟"، "نعم". "هل كان عريانًا يا لالو؟"، "نعم، وغارقًا فى الدماء يا أخى، أقسم لك. يا للهول فالحمام كله كان مغطى بالدم!". لالو "ماذا أيضًا، وما الذى حدث وأنا أرتدى ملابسى"، تشنجولو "حمل الأب آجوستين والأب لوثيو كويار فى سيارة الإدارة، رأيناهم من عند السلم"، وتشوتو "انطلقا بسرعة ثمانين كيلو مترًا فى الساعة (مانيوكو "مائة") وأطلقا آلة التنبيه وكأنهما من رجال المطافئ أو الإسعاف.

وخلال ذلك أخذ الأب ليونثيو يطارد خودس الذى كان يجـوب الفناء ذهابًا وإيابًا وهو يقفز فى حركات بهلوانية، ثم أمسك بـه وأدخله بيته وأوثقه (قال تشوتو "كان يريد أن يقتله، لو رأيتموه، كان مخيفا") بالحبال دون رحمة، بحنق، بينما خصـلة شـعره تتراقص على جبهته".

خلال ذلك الأسبوع، كان قداس يوم الأحـد، وصـلوات الجمعة، ودعوات بدء الحصص وانتهائها، مـن أجـل الـدعاء بالشفاء لكويار. بيد أن الآباء كانوا يغضـبون إذا مـا تحـدث الطلاب فيما بينهم عن الحادث، فكانوا ينهروننا ويضربوننا على رءوسنا ويخرسوننا أويعاقبوننا حتى الساعة السادسة، إلا أن هذا الموضوع كان هو الحديث الأوحد فى الفسحة وفى الحصـص. وفى يوم الاثنين التالى، عندما ذهبنا لزيارته، بعد المدرسة، فى "لاكلينيكا أمريكانا"، لاحظنا عدم وجود إصابات لا بوجهـه ولا بيديه. راقدًا فى حجرة جميلة، "أهلا يا كويار"، حوائطها بيضاء وستائرها عاجية اللون، "هل تماثلت للشفاء يا صديقى؟"، وهـى تقع بجانب حديقة بها ورد وعشب وشجرة. "إننا نأخذ بثأرك يـا كويار. ففى كل فسحة نلقى حجارة على بيت خودس، ولن تبقى له عظمة سليمة". كان كويار يضحك ويقـول "عنـدما أخـرج سنذهب مساء إلى المدرسة وسندخل من السقف، وليعيش الفتـى بام بام، الصقر المقنع، طاخ طاخ، وسوف نجعل هذا الكلب يرى

النجوم كما أرانى إياها". كان يقول ذلك بمرح، بيد أنه كان شاحبًا، ضعيفًا. وعند مخدع كويار، وجدنا سيدتين، أعطتنا إحداهما شوكولاتة ثم خرجتا إلى الحديقة: "يا حبيبى تحدث مع أصدقائك، سندخن سيجارة ونعود". كويار "ذات الرداء الأبيض هى أمى والأخرى خالتى". "احكِ لنا يا كويار ما الذى حدث. هل أحسست بألم شديد؟"، "شديد جدًّا"، "أين كانت العضة؟"، "هنا فى هذا المكان" وأشار بإصبعه، "فى القضيب؟"، "نعم". أجابنا وقد اربدَّ وجهه، ضحك وضحكنا جميعًا. ومن خلف الزجاج أشارت السيدتان "مع السلامة، مع السلامة يا قلبى"، وإلينا "دقيقة واحدة فقط، فكويار لم يشف بعد". هو "هشش، هذا سر"، فوالده لا يريد، ولا والدته، أن يطّلع أحد على الأمر، "يا صغيرى، من الأفضل ألا تقول شيئًا، لماذا يعرف الناس، قل إن العضَّة فى رجلك، هل تسمع يا قلبى؟". قال لأصدقائه إن العملية استغرقت ساعتين، وأنه سيعود للمدرسة خلال عشرة أيام. قال له الطبيب: "يالها من إجازة! ماذا تريد أكثر من ذلك؟". عدنا أدراجنا، وفى الفصل كان الكل يريد أن يعلم بالأمر: "خاطوا له معدته، أليس كذلك؟، كانت الخياطة بالإبرة والخيط، أليس كذلك؟". قال تشنجولو بهلع وهو يروى لنا هذا "هل التحدث فى هذا الأمر خطيئة؟"، لالو "لا. ما هذا الذى تقوله، فوالدته تقول له كل ليلة: "هل غسلت فمك، هل ذهبت لتتبول؟"، ومانيوكو "مسكين يا كويار، وياله من ألم!

فإذا كان مجرد الخيط فى هذا المكان الحساس يذهب العقل فما بال العضة، وخاصة إذا فكرنا فى أنياب خودس. اجمعوا حجارة ولنذهب إلى الملعب. واحد، اثنان، ثلاثة، هوو، هوو، هوو، أيعجبك هذا؟ يا تعس، فأنت تستحق ذلك ولتتعلم". "مسكين يا كويار، فلن يستطيع أن يظهر فى المسابقة التى تبدأ غدًا" قال تشوتو، مانيوكو "لقد تمرن كثيرًا، ولكن بلا جدوى". رد لالو "وأسوأ ما فى الأمر أن هذا أضعف الفريق. إذًا فلابد من الاجتهاد إذا كنا لا نريد أن نكون فى المؤخرة. يا أصدقائى، أقسموا أن تفعلوا كل ما فى وسعكم".

II

رجع إلى المدرسة بمفرده بعد العيد الوطنى، ومن الغريب أنه بدلا من أن يهجر لعبة كرة القدم (ألم تكن هذه اللعبة، بصورة ما، هى سبب عض خودس له؟!) عاد أكثر رغبة فى الرياضة من ذى قبل. وفى المقابل، بدأ اهتمامه بالمذاكرة يقل. وأصبح من المفهوم، حتى للبلهاء، أنه لم يعد فى حاجة إلى الاستذكار، كان يتقدم للامتحان بمستوى سيئ جدًّا والآباء يساعدونه على النجاح، يحل مسائل وتدريبات حلاًّ سيئًا ثم يحصل على أعلى الدرجات، يقدم واجبات رديئة وينجح. وكنا

نقول له: "منذ الحادث وهم يربتون عليك؛ لم تكن تعلم شيئًا عن الكسور الجبرية، ومع ذلك حصلت على ست عشرة درجة، يـــا للمهزلة!". علاوة على ذلك كانوا يجعلونه يساعد فـــى القـــداس "ياكويار اقرأ كتاب تعليم أصول الدين"، أو يجعلونه يحمل علـــم السنة فى الاحتفالات الدينية: "امسح السبورة"، أو أن يغنى مـــع الكورال، "وزع الكراسات"، وفى الجمعة الأولى، كـــان يـــدخل للإفطار مع أنه لم يكن قد تلقى القربان. "من مثلك؟" كان تشوتو يقول له "فأنت تعيش الحياة بكل معناها. للأسف فإن خودس لـــم يعضّنا نحن أيضًا"، وهو "ليس الأمر كذلك، فالآباء يعـــاملوننى بهذه الطريقة لخوفهم من أبى". "فَسَقة، ماذا فعلتم بولدى؟ سأغلق لكم المدرسة وأرسلكم إلى السجن، ألا تعلمون من أكون. سأقتل هذا الوحش وأقتل الأب المدير". "اهدأ، اهدأ يا سيدى". وأخذ يشد الأب من إزاره. قال كويار "هذا ما حدث، أقسم لكم"، وقـــال إن هذا هو ما رواه والده لوالدته، ومع أنهما كانا يتحدثان بصـــوت خفيض، فإنه سمعهما وهو راقد فى الفراش بالمستشفى. "نعـــم، ولهذا فهم يعاملوننى هكذا، لا لشىء آخر". قال لالو "جذبه مـــن الإزار؟ ياله من كاذب!"، وتشينجولو "ربما يكون صحيحًا، ولهذا فقد اختفى الحيوان اللعين"، قلنا "ربما باعوه، أو هرب، أو أهدوه لأحد"، وكويار " لا، بالطبع لا. فمن المؤكد أن والـــدى حضـــر وقتله، فهو دائمًا يفى بوعوده". لأنه فى صبيحة أحد الأيام وجدوا

بيت الكلب خاليًا، وبعد ذلك بأسبوع كان يقطن مكان خودس أربعة أرانب بيضاء. "يا كويار احمل لهم الخس". "آه يا صديقى، احمل لهم الجزر، كيف يدللونك، بدّلْ لهم الماء"، وكان هو يفعل ذلك بسعادة.

ولم يكن تدليل كويار من جانب الآباء فقط، بل أيضًا من والديه. فأصبح كويار يأتى معنا مساء كل يوم إلى "تراثاس" ليلعب كرة القدم ("هل والدك لم يعد يغضب منك؟"، "لا، على العكس، فدائمًا ما يسألنى عن من فاز فى المباراة"، "فريقى"، "وكم هدفًا سجلت، ثلاثة؟، رائع"، وهو "لا تضايق نفسك"، "يا أمى، لقد تمزق قميصى عن غير قصد وأنا ألعب"، وهى "لا يهم يا صغيرى، ستخيطه لك الفتاة يا قلبى وبعدها يمكنك أن ترتديه داخل المنزل. هيا أعطنى قبلة") ثم نذهب فيما بعد إلى سينما "الإكسلسيور" و"ريكاردوا بالما"(*) أو "اللورو" ونجلس فى الدرجة الثالثة لنشاهد مسلسلات، ومسرحيات غير لائقة للآنسات، وأفلام كانتينفلاس أو تان تان. ويقول لنا إنهم طيلة الوقت يزيدون مصروفه، "يشترون لى كل ما أريده"، ثم يشير لنا "لقد وضعت والدى هنا فى جيبى. إنهما يُلبّيان كل رغباتى. ويحبانى بجنون". كان كويار أول واحد فينا، نحن الخمسة، يحصل على حذاء

(*) هو كاتب بيروانى (١٨٣٣-١٩١٩) وشارك فى الحياة السياسية فى البلاد، وكتب الشعر والمسرح، وأشهر ما كتب "عادات بيروانية" عام ١٨٧٢. (المترجمة)

تزحلق، ودراجة، ودراجة بخارية. وهم "يا كويار، اطلب من والدك أن يهدينا كأسًا للمسابقة"، أو أن يأخذهم إلى حمام سباحة الأستاد لمشاهدة مرينو والكونيخو بياران،(*) "وأن يمر علينا ويحملنا فى سيارته عند خروجنا ليلاً من المسرح". وكان والده يهدينا ما نطلبه ويحملنا إلى حيث نريد ويمر علينا بسيارته: "نعم، إنه هنا فى جيبى".

فى هذه الفترة تقريبًا، أى بعد الحادث بقليل، بدأنا نطلق عليه "بيتشوليتا".(**) وانطلق هذا اللقب من الفصل، "هل كان الحاذق جوموثيو هو الذى اخترعه؟"، "بالطبع! مَن غيره". وفى بادئ الأمر كان كويار يبكى، "أيها الأب، إنهم يقولون لى كلمة سيئة، كمخنث"، "من؟ وماذا يقولون لك؟"، "شىء سيئ أيها الأب". كان يخجل من تكرار الكلمة، فيتلعثم وتسقط الدموع من عينيه. ثم فيما بعد وفى الفسحة كان طلاب المراحل الأخرى يسألونه "بيتشوليتا كيف حالك؟"، فكم كان يبكى ويمتلئ وجهه بالمخاط، وهو "أيها الأب، انظر"، ويجرى ناحية ليونثيو، أو لوثيو، أو أوجستين أو حتى الأستاذ كانيون باريدس "هذا هو من قال لى ذلك". يشتكى ويستشيط غضبًا "ماذا قلت"، "قلت بيتشوليتا"، يشحب وجهه من الغيظ، "مخنث"، ترتجف يداه

(*) شخصية حقيقية وبطل سباحة. وظهرت هذه الشخصية فى القصة القصيرة "ذات يوم أحد" من مجموعة "الرؤساء". (المترجمة)

(**) كلمة بيتشولا تعنى فى بيرو العضو التناسلى الذكرى. (المترجمة)

ويتحشرج صوته، "أعِدْ ما قلته إذا جرؤت"، "بيتشوليتا، وها قد جرؤت، ماذا ستفعل". عندئذ يغمض عينيه ويفعل ما نصحه به والده: "لا تترك نفسك لهم يا بنى"، يهجم عليهم، "مزق وجوههم"، يتعارك معهم، يدوس أقدامهم ويصفعهم على وجوههم، "اصفعهم، اضربهم برأسك، اركلهم، فى أى مكان، فى الطابور، أو فى الملعب. اطرحهم أرضًا وسينتهى الأمر، وإن يكن فى الفصل أو فى الكنيسة وبعدها لن يضايقوك مطلقاً". وكلما ازداد ضيقه، ازدادت إغاظتهم له، وفى إحدى المرات حدثت فضيحة، "أيها الأب"، حضر والده إلى المدرسة ولعن الإدارة، قال إن الأطفال يضايقون ابنه وهو لن يسمح بذلك، وهددهم إذا لم يتم عقاب هؤلاء السفلة فسيقوم هو بذلك بنفسه، وسيوقفهم عند حدهم، "ما تلك الوقاحة!"، ثم دق المنضدة بكفّه وقال إن هذا هو ما كان ينقصه.

بيد أن اللقب دمغ عليه كما تدمغ الأختام. وعلى الرغم من العقوبات التى كان يفرضها الآباء، وتوسلات المدير، وبكاء كويار ورفساته وتهديداته وصفعاته فإن اسم الشهرة خرج إلى الشارع وتفشى رويدًا رويدًا بين أرجاء ميرافلورس، ولم يفلح هو قط فى محوه، "مسكين". "بيتشوليتا مرر الكرة، لا تكن أنانيًّا"، "ما هى درجاتك فى مادة الجبر يا بيتشوليتا؟"، "أنتبادل الحلوى يا بيتشوليتا؟"، "لا تنسَ أن تحضر غدًا إلى حديقة تشوسيكا يا

بيتشوليتا" سيستحمون فى النهر، "سيكون مع الآباء قفزات ملاكمة وتستطيع ملاكمة جوموثيو لتثأر منه يا بيتشوليتا". "بيتشوليتا سنتسلق الهضبة، هل عندك حذاء ذو رقبة؟ وعند عودتنا يمكن أن نلحق بالحفلة. هل تعجبك هذه الخطة؟".

حتى هم، "يا كويار"، وإن كنا فى بادئ الأمر نجتهد فى عدم الوقوع فى ذلك، إلا أننا بدأنا نطلق عليه هذا الاسم. "يا صديقى" بدأنا نردده، "رغمًا عنا يا أخى"، وفجأة "يا بيتشوليتا"، وهو يربد وجهه "ماذا؟"، أو يشحب "حتى أنت يا تشنجولو."، باستياء "آسف يا صديقى، لم أقل ذلك بنية سيئة يا كويار."، حتى هو، صديقه؟ "لا تغضب هكذا يا أخى، فلأننا نسمع ترديد الكلمة كثيرًا، أصابتنا العدوى"، "وأنت أيضًا يا تشوتو؟"، كان يقولها عن غير قصد، "وأنتَ يا مانويكو؟ هل تسموننى هكذا من وراء ظهرى؟ فما إن ألتفت حتى تقولوا بيتشوليتا، أليس كذلك؟"، "لا، ما هذا الذى تقوله؟!". نعانقه ونعده ألا نرددها مرة أخرى، "ولكن لماذا تغضب يا أخى، إنه اسم شهرة مثل الأسماء الأخرى، وفى النهاية ألا تقول لبيرثر الأعرج "كوخينوبا"،(*) وإلى رودريجث الأحول يا "بيرولو"(**) أو يا "ذا النظرة القاتلة"، وتطلق على

(*) اسم سمك بحرى يعيش على امتداد الساحل من شمال بيرو إلى شمال تشيلى. ويطلق أيضًا على الأعرج. (المترجمة)
(**) بمعنى أحول. (المترجمة)

ريبارا الذى يتهته فى الكلام "يا ذا الفم الذهبى".(*) وألا ينادوننى بتشوتو وعلى هذا تشنجولو وعلى ذاك مانويكو وعلى هذا لالو؟ لا تغضب يا صديقى وهيا أكمل اللعب فهذا دورك".

ورويدًا رويدًا بدأ يستسلم لاسم شهرته هذا، وعندما وصل إلى الفرقة السادسة لم يعد يبكى أو يتشاجر، وبدأ لا يبالى بالأمر. ووصل الأمر إلى أن أصبح يلقى على ذلك النكات "بيتشوليتا لا، بيتشوليتا هاها!". ومع وصوله إلى الصف الأول من المرحلة المتوسطة كان قد اعتاد على الاسم إلى الدرجة التى جعلته إذا ما ناداه أحد بكويار تجهم وتصرف بجدية وارتياب كما لو كان يشك فى الأمر "أهى مزحة؟". وعند مصافحة الأصدقاء الجدد كان يمد إليهم يده قائلاً "مرحبًا، بيتشولا كويار فى خدمتك".

كان يقول ذلك للفتيان فقط لا للفتيات. ففى تلك المرحلة، إلى جانب الرياضة، بدأ اهتمام الفتيان بالفتيات. وبدأنا نمزح، وفى الفصل "اسمعوا، بالأمس رأيت بيرولو مارتينث مع صديقته فى الفسحة"، وفى الفسحة "كانا يتنزهان فى شارع البحر ويداهما فى يدى بعضهما وفجأة، بووم، قبلة!"، وعند خروجنا من المدرسة "أكانت القُبلة فى الفم؟"، "نعم، وظلا يقبلان بعضهما

(*) Pico de Oro تطلق على من يتحدث بلباقة أو يجيد الكلام . (المترجمة)

فترة طويلة". وبعد وقت قصير، أصبح ذلك هو موضوع أحاديثهم الرئيسى. كينكى روخاس تعرف على فتاة أكبر منه سناً، شقراء، زرقاء العينين، وقد رآهما مانيوكو يوم الأحد وهما ذاهبان لحضور الحفلة المسائية فى سينما ريكاردو بالما، وعندما خرجا كانت شعثاء الشعر، فلابد أن شيئاً ما حدث بينهما. ومنذ عدة أيام، فى الليل، ضبط تشوتو الطالب الفنزويلى، طالب الصف الخامس، والذى يطلقون عليه موكورا لثرثرته، فى سيارة مع سيدة وجهها ملطخ بالمساحيق، وبالطبع كانا يمارسان الجنس. "وأنت يا لالو هل مارست الجنس؟" "وأنت يا بيتشوليتا، هاها". ومانيوكو تعجبه أخت بريكو ساينث، وعندما ذهب تشوتو ليدفع ثمن جيلاتى وقعت حقيبته فوقعت منها صورة لذات الرداء الأحمر فى حفلة أطفال، هاها. "لا تخجل هكذا يا لالو، فنحن نعلم أنك مغرم بروخاس النحيفة". "وأنت يا بيتشوليتا، هل أنت مغرم بأحد؟" وهو "لا"، احمر وجهه "ليس بعد"، شحب، حتى الآن لم يقع فى حب أى فتاة، "وأنت وأنت، هاها".

كنا نخرج من المدرسة مع دقات الساعة الخامسة، نجرى عبر شارع باردو كأرواح يحملها الشيطان، ونصل فى ميعاد خروج فتيات مدرسة "لاريباراثيون". كنا نقف عند الناصية، "انظر، هاهنَّ فى سيارات المدرسة". كانت طالبات الصف الثالث "والتى تجلس عند النافذة الثانية هى أخت الهندى كانييا. "مع

السلامة، مع السلامة"، "وهذه انظر، أشر لها، قــد ضــحكت"، وأشارت لنا الصغيرة، "مع السلامة، مع السلامة"، "ولكنهــا لــم تكن تشير لك يا تافه وهذه، وهذه". وأحيانًا كنا نحمل لهن أوراقا مكتوبة ونقذف بها إليهن. "ما أجملك! تعجبنى ضــفائرك، أنــت أجملهن فى هذا الزى: صديقك لالو". "احذر يا رجل! فقد رأتــك الراهبة وستعاقبها"، "ما اسمكِ؟ أنا مانيكو"، "هل يمكن أن نذهب معًا إلى السينما يوم الأحد؟" ويطلب منها أن ترسل له ورقة فى اليوم التالى وتجيبه بها، أو تومئ له برأسها بالموافقة وهى فــى سيارة المدرسة. "وأنت يا كويار، ألا تعجبك إحداهن"، "نعم، تلك التى تجلس بالخلف"، "من؟ ذات الأربع أعين؟"، "لا، لا، بل التى تجلس بجانبها"، "إذن لماذا لا تكتب لها شيئًا"، وهو "ماذا أكتــب لها؟"، "لنرَ، هل تودين أن تكــونى صــديقتى؟"، "لا، مــا هــذا الهراء؟!". "أريد أن أصبح صديقك، وترسل لها قبلة"، "نعم، هذا أفضل، ولكن ليس كافيًا، أريد شيئًا أكثر تأثيرًا"، "أريد أن أصبح صديقك، ويرسل لها قبلة، وأعبدك. وستكون هى البقــرة وأنــا الثور"، "هاها"، "والآن وقع على الورقة باسمك ولقبك، وارســم لها أى رسم"، "ماذا، مثلاً؟"، "أى شىء، ارسم لها ثورًا صغيرًا، أو وردة، أو عضوًا ذكريًّا". وهكذا كنا نمضى أمسياتنا، نلهــث خلف سيارات مدرسة "لاريباراثيون". وأحيانًا كنا نذهب حتــى شارع آريكيبا لنرى فتيات "البياماريا" بزيهن الأبيض وكنا نصيح

ونقول لهن: "هل أنهيتن أول تناول؟"، بل كنا أحيانًا أخرى نركب الإكسبريسو وننزل فى محطة سان إيسيدرو لنراقب فتيات "سانتا أورسولا" وفتيات "القلب المقدس". ولم نعد نلعب كرة القدم كمـــا كنا نفعل من قبل.

وعندما تحولت حفلات أعياد الميلاد إلى حفلات مختلطة، كنا نظل بالحديقة نتظاهر بأننا نلعب الحَجُّورة،(*) ونخمـــن مـــن الذى لمس ومن كسب، "لمستك!"، بينما كانت حواســـنا وأعيننـــا وآذاننا ترقب ما يحدث بالداخل، "مـــاذا يجـــرى بالصـــالون؟". نحسدهم، "ماذا تفعل الفتيات مع هؤلاء الفتية الكبار الذين يجيدون الرقص؟". إلى أن جاء اليوم الذى قرروا فيه أن يتعلموا الرقص هم أيضًا. وعليه كنا نمضى أيام السبت والأحد بالكامل نـــرقص مع بعضنا نحن الفتية، "فى منزل لالو"، "لا، فى منزلى فهو أكبر وأفضل"، ولكن تشوتو عنده إسطوانات أكثر، ومـــانيوكو "وأنـــا عندى أختى التى تستطيع تدريبنا"، وكويار "لا" فى منزله، فوالداه يعلمان بالأمر، وذات يوم قالت له والدته "خذ يا قلبى" أهدته يومًا جهازًا للإسطوانات. "لك وحدك؟"، "نعم"، "ألم تكن تريد أن تتعلم الرقص؟ ضعه فى حجرتك وليأتِ أصـــدقاؤك ولتغلقـــوا علـــى أنفسكم الحجرة كيفما تشاءون. واشترِ إسطوانات يا حبيبى، هيـــا اذهب إلى مركز بيع الإسطوانات". ذهبوا إلى المتجر واخترنـــا

(*) هى لعبة "صلّح" التى يلعبها الأطفال والشباب. (المترجمة)

إسطوانات أواراتشا،(*) ومامبو، وبوليرو،(**) وفالس، وأرسل الفاتورة إلى والده السيد كويار على العنوان التالى: ٢٨٥ ماريسكال كاستيا. كان الفالس والبوليرو من السهل تعلمهما، لأنهما يلزمهما ذاكرة وعد للخطوات، خطوة هنا وخطوة هناك، ولكن الموسيقى بهما لا تهم بقدر كبير. أما الذى كان حقًّا صعبًا فكان الأواراتشا، "لابد من حفظ شكل الحركات" كان يقول كويار، أما المامبو فالمهم فيه الدوران وترك يد زميلة الرقص ثم التألق. تعلمنا التدخين فى الوقت نفسه الذى تعلمنا فيه الرقص. وكنا أحيانًا نخطئ فنبتلع دخان سجائر "اللاكى" و"الفيثروى"، نقذف الدخان ثم فجأة "هيا يا أخى لقد جذبت الدخان"، إنه يخرج، "لا تخرجه، هيا بسرعة"، يصيبنا الدوار، نسعل، نبصق، "هل أخرجه من فمه؟"، "أبدًا، كان الدخان تحت لسانه"، "ويا بيتشوليتا أنا سوف أعُدُّ"، "هل رأيتم؟"، "ثمانية، تسعة، عشرة" والآن يقذفه "هل رأيتم كيف استطعت الاحتفاظ بالدخان فى فمى؟ وإخراجه من أنفى، وأن أنحنى وأدور ثم أقوم وأعتدل، كل هذا دون أن يحدث لى شىء".

فى بادئ الأمر، كان أكثر ما نفضله هو الرياضة والذهاب إلى السينما، وكانوا على استعداد لعمل أى شىء مقابل الذهاب

(*) موسيقى شعبية فى بيرو وكوبا وبرتوريكو. (المترجمة)
(**) موسيقى شعبية إسبانية بحركات ثلاثية للغناء والرقص. وهى موسيقى هادئة ورشيقة. (المترجمة)

إلى مباراة كرة قدم. أما الآن، فعلى العكس، أصبح أكثر ما نحبه هو الفتيات والرقص، وكنا على استعداد لعمل أى شيء للذهاب إلى حفلة راقصة على موسيقى "بيرث برادو"(*) والسماح لنا من صاحبة المنزل بالتدخين. فكنا نذهب إلى حفلات رقص كل سبت تقريبًا، أما فى الأوقات التى لم نكن فيها من المدعوين، كنا نقتحم المكان، وقبل الدخول، يذهبون إلى الحانة الموجودة عند الناصية ويطلبون من النادل، وهم يقرعون على الطاولة "خمسة أقداح من العَرق!". قال بيتشوليتا "دون إضافات، ولنتجرعها دفعة واحدة، هكذا: جلوب جلوب مثل الرجال، مثلى أنا".

عندما حضر بيرث برادو إلى ليما هو وفرقتـــه، ذهبنـــا لانتظاره فى "الكوربك"، وكويار "لنرَ مـــن يســتطيع أن يفعـــل مثلى"، واستطاع أن يفتح لنفسه طريقًا وسط الحشود حتى وصل إليه، وهناك أمسك كويار بحقيبته وصـــاح قـــائلاً: "يـــا ملـــك المامبو!". ابتسم له بيرث برادو "أقسم لكم أنه صافحنى ووقع فى دفترى، انظروا". وفى سيارة بوبى لوثانوا تبعوه وتقدمتهم قافلة مشجعة حتى ميدان سان مارتين؛ وعلى الرغم مـــن تهديـــدات القسيس وتحذيرات آباء مدرسة تشمباجنت، ذهبنا إلـــى ميـــدان

(*) موسيقى وواضع ألحان وقائد أوركسترا من كوبا. وفى الخمسينيات كان لـــه صـــيت شائع فى ليما. (المترجمة)

"أتشو"(*) و"تريبونس ديل سول" لنرى المسابقة القومية للمـــامبو. وفى كل ليلة، بمنزل كويار، كانوا يحولون الراديو على إذاعـــة "السول" وكنا نسمع، بهوس موسيقى "بيرث برادو": "كيف يعزف البوق، يالها من نغمات، يالموسيقى البيانو!".

وقتها بدأوا يرتدون السراويل الطويلة، ونمشـــط شـــعرنا بـــ"الفازلين"، ونمت أجسادهم، خاصة كويار، وبعدما كان أنحف الأصدقاء الخمسة جسمًا وأقلهم حجمًا، أصبح أطولهم وأقـــواهم، قلنا له "لقد أصبحت مثل طرزان يا بيتشوليتا، ما هـــذا الجســـم الممشوق!".

III

كان لالو أول من تعرف على فتاة، وكنا آنذاك قد وصلنا للصف الثالث من المرحلة المتوسطة. دخل علينا ذات ليلة فـــى "الكريم ريكا" حالما، هم: "ماذا بـــك؟" وهـــو مشـــرق، مختـــال كطاووس "صرحتُ لتشابوكا مولينا بحبى لها وصارحتنى هـــى أيضًا". ذهبنا إلى "التشاسكى" للاحتفال بهذا الخبر، وبعد الجعـــة

(*) هو من أقدم ميادين مصارعة الثيران فى العالم. (المترجمة)

الثانية، "لالو ما الذى قلته لها وأنت تصرح لها بحبك؟"، وعلـــى وجه كويار بدأت تظهر علامات العصبية، "هل أمسكت يدها؟"، "يا ثقيل الظل"، "ما الذى فعلته تشابوكا، يا لالو؟"، "يا لحـــوح"، "هل أعطيتها قبلة؟ قل لنا.". حكى لنا لالو بسعادة كل ما فعلـــه، وقال الآن الدور دورنا، "فى صحتكم"، كان لذيذًا كالحلوى مـــن فرط السعادة، وقال لنسرع حتى يصبح لكل واحد منَّـــا رفيقـــة، وكويار، وهو يقرع المائدة بقدح الجعة "كيف حدث ذلك، مـــاذا قلت لها وماذا فعلت". قال لالو "وكأنك قسيس يا بيتشوليتا يريـــد منى اعترافًا"، وكويار "قص، قص ما حدث". شربوا ثلاثة أقداح، وعند منتصف الليل كان بيتشوليتا قد سكر. وعند شارع "لاركو" أمام مبنى الإدارة العامة، استند كويار على عمود وتقيأ، نهرناه "ما هذا التبذير! أتهدر هكذا ثمن الجعة التى دفعتها فى الهواء، ما هذا التبذير؟!". لكنه كان جادًّا "لقد خنتنا"، ما كان ليمزح، "لالـــو الخائن"، كان يتقيأ زبدًا، "لقد ســـبقتنا"، تقيـــأ علـــى قميصـــه، "وصرحت لفتاة بحبك"، وعلى سرواله، "لم تذكر لنا أى شـــىء عن هذا من قبل"، "بيتشوليتا تماسك قليلاً، إنك تلوث كل شـــىء حتى روحك"، لم يهتم بشىء، "ما كان يجب أن يحدث ذلك، مـــا الذى يهمك إن لوثت نفسى؟ صديق سيئ، خائن". ولكن فيما بعد، ونحن ننظف ملابسه، هدأت ثورته وبدأ يصبح لطيفًا: "لن نراك أبدًا فيما بعد يالالو، ستقضى كل أيام الآحاد مع تشـــابوكا ولـــن

تبحث عنا أبدًا يا مخنث". ولالو "ما هذه الخـواطر يـا أخـى. فالحبيبة والأصدقاء شيئان مختلفان، لا يتعارضان. ليس هنـاك داع للغيرة يا بيتشوليتا. هدئ من روعك"، وهم "تصافحا"، إلا أن كويار رفض ذلك "لتعطِ له تشابوكا يدها، أما أنا فلن أعطيها له". اصطحبناه حتى منزله، وعلى طول الطريق كان يهمهم بـالكلام "اصمت" ويسب. وما إن وصلوا "ادخل إلى منزلك متسللاً، فـى هدوء، خطوة خطوة كلص، بحذر، لا تحـدث جلبـة حتـى لا يستيقظ والداك ويرياك". بيد أنه بدأ يصيح وركل باب المنـزل بقدمه "ليستيقظا ويمسكا بى، ما الذى سيحدث، فأنا لا أخاف أحدًا ولتبقوا ولا تنصرفوا وسوف ترون". قال مانيوكو بينمـا رحنـا نعدو ناحية شارع "الدياجونال" "إنه فى حالة هياج، فما قلت لـه إنك اعترفت لتشابوكا حتى تغيرت ملامـح وجهـه ومزاجـه"، وتشوتو "لقد حسدك؛ ولذا فقد ثمل"، وتشنجولو "سيقتله والـده". غير أنهم لم يفعلوا معه شيئًا. "من الذى فتح لك الباب"، "أمـى"، قلنا له "وما الذى حدث؟ هل ضربتك؟"، "لا، بل جلست تبكـى"، "يا قلبى، ما هذا، كيف تشرب خمرًا وأنت فى هذه السن"، "ثـم حضر والدى ونهرنى، هذا هو كل ما حدث"، "لن يتكرر ذلـك ثانية"، "لا يا والدى"، "هل تحس بالخجل من فعلتك هذه؟"، "نعم". حملاه إلى الحمام ليستحم، ثم أخلداه للنوم، وفى صبيحة اليـوم التالى طلب منهما الصفح. "لالو يا صديقى أنـا آسـف، لعبـت

الجعة برأسى، هل سببتك وضايقتك؟"، "لا عليك، فما حدث كان من تأثير الكحول، ولنتصافح، فنحن أصدقاء يا بيتشوليتا، وكأن شيئًا لم يحدث".

ولكن شيئًا ما حدث: بدأ كويار يقوم بأعمال جنونية لجذب الانتباه، ونلهو معه ونتبعه، "يا رفاق، ما رأيكم فى سرقة سيارة والدى لنذهب بها إلى الكورنيش؟ "لا يا صديقى"، وكـان يأخـذ سيارة والده الشيفورليه ونذهب بها إلى هناك. "أستطيع التغلـب على رقم بوبى لوثانو القياسى فى السـرعة"، "لا يـا أخـى، لا تفعل"، وهو فييسست عبر شارع البحر، فوووووو مـن شـارع "بينابيدس" إلى "لاكيبرادا"، فوووووو فى دقيقتين وخمسين ثانيـة "هل تغلبت عليه؟"، "نعم"، ومانيوكو وهو يشير بالصليب علـى صدره "نعم تغلبت عليه"، "وأنـت يالفزعـك أيهـا المخنـث!". "سنذهب إلى محل "أوه كيه بوينو" ثم نفر منه. ما رأيكم؟"، "لا يا أخى"، ثم يذهبون إلى المكان، ونملأ بطوننا بالهمبرجر والحليب المخفوق بعصير الفواكه، ونبدأ ننسحب الواحد تلو الآخر. ومن عند كنيسة سانتا ماريا كنا نرى كويار يدفع النادل ويهرب منه، "ماذا قلت لكم؟". "وأستطيع أن أكسر كل زجـاج هـذا المنـزل ببندقية رش والدى. فما رأيكم؟"، "لا يـا بيتشـوليتا"، ويكسـر الزجاج. كان يقوم بهذه الأعمال الجنونية لشد الانتبـاه، ولكـن أيضًا للاستهزاء بلالو "أرأيت، أرأيت أنتَ لم تجرؤ على القيـام

بذلك، ولكننى فعلتها"، وكنا نقول "لن يغفر لــه أبــدًا موضـــوع تشابوكان هذا، كم كان يبغضه".

وعندما وصلنا للصف الرابع مــن المرحلــة المتوســطة صارح تشوتو "فينا سالس" بحبه لها، ومابنوكو صارح بوســى لانياس ووافقت كلتاهما. لم يبرح كويار منزله مدة شهر وفــى المدرسة بالكاد كان يلقى عليهم التحية، "أنت، مــاذا بــك؟"، "لا شيء"، "لماذا لا تبحث عنا أو تخرج معنا؟"، لم تكن لديه رغبــة فى الخروج. ونقول: "يحاول أن يكــون غامضًــا، أو أن يشــد انتباهنا، أو يقوم بدور الغضبان أو المستاء". بيد أنــه، ورويــدًا رويدًا بدأ يتأقلم على هذا الوضع وعاد يجتمع بأصدقائه. وفــى أيام الآحاد، يذهب هو وتشنجالو – فقط – إلى حفلات الســينما المسائية (وكنا نقول لهما "العازبان، الأرملان") وكانــا يقــتلان الوقت بكل الطرق الممكنة؛ يتسكعان فى الشوارع وأيديهم فــى جيوبهم، دون أن ينبسوا ببنت شفة، أو يقولان بالكاد: "لنذهب من هنا أو من هذا الشارع"، وأحيانًا يذهبان لمنزل كويــار لســماع الإسطوانات، أو لقراءة الفكاهات، أو لعب الورق. وفى التاسعة يمران بحديقة "سالاثار" للبحث عــن بقيــة الأصــدقاء، الــذين يودعون محبيهم فى تلك الساعة. "هل واقعتموهم مواقعة جيدة؟" كان كويار يسأل ونحن فى صالة البلياردو بمتنــزه "ريكــاردو بالما" بينما نضع حقائبنا، ونفك أربطة أعناقنا، ونشــمر أكمــام القمصان، ثم بنبرة مريضة من الحقد والحسد والضجر "مواقعة

قوية يا فتية، هه؟"، وهم "اصمت، وهيا لنلعب"، "أيدى، ألســن"، يرمش بعينيه وكأن الدخان وضوء المصــابيح قــد أجحظهمــا، ونحن "هل أنت مغتاظ يا بيتشوليتا؟ فبدلا من هذا الغيظ لماذا لا تبحث لك عن فتاة وتكف عن هذا الضجر؟"، وهــو "أمصصــتم بعضكم؟"، يسعل ويبصق كمخمــور "حتــى أعيــاكم التعــب"، ويضرب الأرض بقدميه "هل تحسستم أجســامهن مــن تحــت ثيابهن؟"، وهم "إن الغيظ يأكلك يا بيتشوليتا"، "بالطبع هو شــىء لذيذ وجميل"، "من الأفضل أن تصمت" لكنه لم يكف عن الكلام، ثم يكمل دون كلل "حسنٌ"، ولكن الآن بنبرة جادة "مــاذا فعلــتم معهن؟" "كم مرة تترك الفتيات أنفسهن للقبلات الطويلة؟"، "مــرة أخرى يا صديقى"، "اصمت"، "ها قد أصبح ثقيل الــدم". وفــى إحدى المرات غضب منه لالو "إنك حثالة" وضــربه وكــاد أن يحطم رأسه لأنه قال إن الفتيات لسْــنَ إلا للمضــاجعة. وحُلْنــا بينهما وجعلناهما يتصافحان، غير أن كويار لم يكف عن ذلــك، وكان يحدث الشىء نفسه كل أحد، "كيف حالكم؟ ماذا ستقصــون علينا اليوم، هل كانت المواقعة لذيذة".

وعندما وصلنا للصف الخامس، حاول تشنجالو مصــاحبة بيبى روميرو إلا أنها رفضت، ثم حاول مــع تــولا راميــرث وصدَّته، ثم أخيرًا قبلته تشينا سالديبار، فقال بمرح "التالتة تابتة، ومن جد وجد". ذهبنا للاحتفال بهذا الحدث فى بار شارع ســان

مارتين، وجلس كويار فى أحد الأركان حزيناً، منطويًـا علـى نفسه، يتجرع كأسًا وراء أخرى، وطلبنا منه ألا يتكدر وقلنا لـه إن الدور دوره وليحاول البحث عن فتاة يبادلها الحب، وسـوف نساعده وستساعده فتياتنا. "نعم، نعم، سأختار إحداهن"، يتجـرع الكأس وراء الأخرى، ثم وقف فجأة وقال إنه متعب "سأنصرف لأنام"، قال مونيكو "إذا ظل جالسًا معنا، كان سيبكى"، وتشـوتو "بدا وكأنه على وشك البكاء"، وتشنجولو "وإذا لم ينخـرط فـى البكاء، لأصابته هزة عصبية كما حدث فى المرة السابقة"، وقال لالو بنبرة جادة "لابد أن نساعده. سنبحث له عن فتاة حتـى وإن كانت قبيحة، وهكذا ستحل عقدته". "نعم، نعم سنسـاعده، فهـو إنسان طيب، وذلك على الرغم من مضايقاته أحياناً، ولكـن أى شخص فى مكانه كان سيفعل الشيء نفسه". تفهموا جميعًا موقفه، سامحوه، بل شربوا فى نخبه: "فى نخب بيتشوليتا".

ومنذ ذلك الحين بدأ كويار يذهب بمفـرده إلـى حفـلات السينما المسائية يوم الأحد وأيام الإجازات - كنا نراه فى ظلام صالة العرض يجلس فى الصفوف الأخيـرة، يـدخن بشـراهة ويراقب المحبين وهم يتلامسون- ثم يجتمع معهم فى الليل فقـط فى صالة البلياردو، أو فى "البرنسا"، أو فـى "الكـريم ريكـا"، ووجهه تكسوه المرارة "كيف كان يوم الأحد؟"، وبنبـرة حـادة "أعتقد أنكم قضيتموه فى أحسن حال، أليس كذلك؟".

بيد أنه مع حلول الصيف ذهبت عن كويار حالة الغضب، فأصبحنا نذهب معًا إلى الشاطئ - كنا نذهب إلى "لاإيــرادورا" بدلاً من ميرافلوس- فى السيارة التى أهداها إليــه والــده فــى الكريسماس، سيارة فورد مكشوفة. لم يكــن يحتــرم إشــارات المرور، ويرهب المارة فى الشوارع. وعلى الــرغم مــن أنــه أصبح صديقًا للفتيات فقد كنّ دائمًا يسألنه "كويار لماذا ليست لك صديقة؟!"، وبذلك يصبحون خمسة أزواج "ونستطيع الخروج معًا طيلة الوقت" ويقضون أوقاتًا حلوة وصعبة معًا، "حقًّا، لمــاذا لا تفعل ذلك؟"، وكان كويار يداعبهم ويقول لهن مضللاً "لا، لأنــى لو فعلت ذلك فلن تكفينا السيارة، وستصبح واحدة مــنكن هــى الضحية"، "وهل تسعة أشخاص لا يجلسون فوق بعضــهم فــى السيارة؟"، ردت بوسى بجدية وقالت: "لكل واحد رفيقــة وأنــت ليست لك واحدة، ألا تكف عن مجرد المراقبة. ما رأيك "بجاميو" النحيفة، فهى مغرمة بك، صرحت لنا بذلك منذ أيام عندما كنــا عند التشينا ونحن نلهو. ألا تعجبك؟ صاحبها وســنفاتحها فــى الموضوع وستوافق، هيا قرر". بيد أنه لم يكن يريد أن تكون له رفيقة، وبوجه عبوس "أفضّل حريتى، وأفضّل أن أكون ســالب قلوب النساء، والعزوبية أفضل". سألته تشينا "حريتك، لمــاذا؟"، "لأقوم بأعمال جنونية"، وتشابوكا "لتضاجع الفتيــات"، وبوســى "المومسات"، وهو بنظرة الرجل الغامض، أو ربما نظرة قواد أو

فاجر "محتمل"، وفينا "لماذا لم تعد تأتى إلى أى من حفلاتنا، ما الذى حل بك يا كويار؟"، تشابوكا "لا تكن ثقيل الدم، تعال، وربما هكذا تجد فتاة تعجبك وتحبها"، وهو: "مستحيل" فحفلاتنا لا تعجبه لأنه يذهب إلى حفلات أخرى أكثر مرحًا وفيها يقضى وقتًا ممتعًا. قلن: "كل ما فى الأمر أن الفتيات المهذبات لا تعجبنك"، وهو "كصديقات، بالطبع تعجبننى"، وهن "لا بل تعجبك فقط الساقطات، الفاجرات". وفجأة "تعععم تعجبببنييى" بدأ بيتشوليتا "الفتييات المهذذذذبات" يتهته "فققققط أنننن جاميو النحيفة لللللا"، وهن "ها قد بدأت تختلق المبررات"، وهو "وأيييضا ليس هنننناك غير وققفت قليل على ميعععاد الاختبببارات"، وبدأ زملاؤه يدافعون عنه "هيا، اتركوه لحاله، فلن تستطعن إقناعه وعنده مشاريعه وأسراره. أسرع يا صديقى "فلا إيرادورا" لابد أنها تعج بالبشر. هيا وبكل سرعة اجعل هذه الفورد القوية تطير".

كنا نذهب للاستحمام أمام "لاس جابيوتاس"، وبينما كنا نحن الثمانية نأخذ حمام الشمس على الرمل، كان كويار يتألق وهو يستحم وينزلق على الموج. قالت تشابوكا "انظروا إلى هذه الموجة التى تتكون، إنها كبيرة جدًّا. هل سيقدر عليها؟"، وكان بيتشوليتا يقف فجأة فيأخذ بألبابهن، وربما كان فى ذلك فقط يتفوق علينا "إنه يحاول، انظرى يا تشابوكيتا". كان يقفز – يعوم على ظهره ويلقى برأسه للخلف فيظهر صدره– ويغوص،

ويسبح برشاقة، ويحرك قدميه كطائر. قالت بوسى: "إنه يسبح بروعة، لقد لحق بالموجة وهى على وشك الارتطام، انظروا إنه يركبها"، ردت تشينا: "إنه يدخل فيها ويغوص برأسه ويضرب الماء بيد واحدة وبسرعة كما لو كان سباحًا عالميًّا"، وكنا نراه يصعد على حافة الموجة ويهبط معها، يختفى مع الزبد الهائل، "انظروا، انظروا، ستبتلعه إحدى تلك الموجات" قالت فينا. ثم نراه يظهر من جديد يأتى مع الموجة وجسده ممدد، ورأسه لأعلى وقدماه متشابكتان فى الهواء، ثم يقترب إلى الشاطئ بخفة مدفوعًا بحركة الموج.

قالت الفتيات: "إنه يركب الموج بمهارة"، بينما كويار يشير إليهم بيده، ثم يحمله الموج من جديد إلى الداخل "إنه ماهر ولطيف جدًّا وجذاب، إذن لماذا ليست له صديقة؟". وكان الفتية ينظرون فى مواربة إلى بعضهم البعض، وانخرط لالو فى الضحك، فينا "ما الذى يحدث ولماذا كل هذا الضحك؟ قولوا لنا"، اربدَّ وجه تشوتو "نضحك لنضحك، ولا لشىء بعينه. ثم عم تتكلمين، وأى ضحك؟"، وهى "لا تفعل ذلك معى"، وهو "لا أفعل أى شىء، أقسم لكِ". رد تشنجولو "ليست له رفيقة لأنه خجول"، وبوسى "ماذا؟ إنه ليس بخجول، بل وقح"، وتشابوكا "إذن لماذا؟"، قال لالو "إنه يبحث عن واحدة ولكنه لم يجدها بعد، وفى يوم ما سيجدها"، وتشينا "كذب، إنه لا يبحث، ولا يذهب إلى أى حفلة"،

وتشابوكا "إذن لماذا؟". قال لالو "إنهن يعلمن بـــالأمر، أُراهـــن بأنهن على علم بالموضوع، ولكنهن يتظاهرن بعدم المعرفـــة"، "لماذا؟"، "ليجعلونا نبوح لهن بالأمر. إذن، فلِمَ كل هذه الأســـئلة، كل تلك النظرات الغريبة، وهذه النبرة اللاذعة؟!"، وتشوتو "لا، لا تخلط الأمور، إنهن لا يعلمن. فهذه كلها أسئلة بريئة. فالفتيات يعز عليهن أنه لا يحب أى فتاة وهو فى هذه السن. يشفقن عليه من الوحدة ويردن فقط مساعدته"، وتشنجولو "ربمـــا مـــازلن لا يعلمن، ولكن سيأتى اليوم الذى يعرفن فيه. وسيكون هو السبب فى ذلك. لماذا لم يتعرف على أى واحدة حتى وإن كان من باب المداراة؟". وتشابوكا "إذن لماذا؟"، ومابنوكو "ما الذى يهمـــكِ، لا تضايقيه أكثر من ذلك، وسيأتى اليوم الذى يحب فيـــه وســـوف ترين. والآن اصمتوا لأنه يقترب".

وبمرور الأيام أصبح كويار قليل الكلام مع الفتيات، أكثر تحفظًا وبعدًا عنهن. بيد أنه أصبح أكثر جنونًا؛ أفسد حفلة عيـــد ميلاد بوسى؛ أخذ يقذف بشرائح اللحم من النافذة. بكـــت هـــى، وغضب ماينوكو وذهب إليه. تعاركا فضـــربه بيتشـــوليتا، دام خصامهما نحو أسبوع حاول خلاله الأصدقاء الصـــلح بينهمـــا. "آسف يا ماينوكو، لا أعرف ما الذى أصابنى"، "لا عليـــك يـــا صديقى، أنا الذى أطلب منك العفو. لأنى جاوزت حدى معـــك. تعال معى؛ فبوسى أيضًا سامحتك وتريد رؤيتك". وفـــى مـــرة

أخرى ذهب إلى قداس ليلة عيد الميلاد مخمورًا، واضطر لالو وتشوتو إلى حمله إلى الحديقة، وهناك أخذ يتقيأ ويقول أشياء مجنونة: "اتركوني. لا يهمني أي شيء، أريد أن يكون معي الآن مسدس"، "لماذا يا أخي؟"، "لكي أقتلكم، أقتلك وأقتله وأقتل نفسي أيضًا". وفي يوم احد آخر، اقتحم حلبة السباق بعربته الفورد فووووم، وهجم على الحضور، فووووم وأفزع الناس، وظل يصيح ويقفز الحواجز محدثًا جلبة بين جموع الحاضرين.

في حفلات الكرنفال، كانت الفتيات يهربن منه لأنه كان يقذفهن بقاذورات، وبقشر بيض، وفاكهة عفنة. وأحيانًا كان يلقي عليهن بالونات مملوءة ببول ومغطاة بطين، أو بصبغة، أو بدقيق أو صابون(غسيل أواني) أو بالقار، فتسبّه الفتيات: "متوحش، قذر، حيوان". وعندما يذهب إلى حفلات عيد الميلاد، أو حفلات الأطفال في حديقة "البرانكو"، أو إلى حفلة "لاون تينيس" الراقصة، يحمل في كل يد من يديه أنبوبة بها أثير ويقذفه في أعين الموجودين ويضحك "ها ها، لقد أصبته في عينيه. ها ها، جعلته أعمى. ها ها ها". وأحيانا كان يأخذ معه عصا يمدها تحت أرجل المارة ليقلبهم على الأرض. فيتعاركون معه ويضربونه، فندافع نحن أحيانًا عنه، بيد أنه لم يكن يحيد عن أفعاله، فنقول: "سيقتلونه في يوم من الأيام".

أكسبته هذه الأعمال الجنونية شهرة سيئة. وتشنجولو "يا صديقى، يجب أن تتغير"، وتشوتو "أصبحت ثقيل الظل يا بيتشوليتا"، ومانيوكو "لن ترغب الفتيات فى مصاحبتك، فهن يعتقدن أنك فاسق، ثقيل الدم، قد تعديت كل الحدود". أحيانًا كان يجيبنا فى حزن "ستكون هذه هى المرة الأخيرة. سوف أتغير، أعدكم بذلك". وأحيانًا أخرى، ببجاحة "آه فاسق، أهكذا؟ هل هذا هو ما تقوله عنى هؤلاء الثرثارات؟" لم يكن يهمه شىء "لقد تعدَّين كل الحدود".

وفى حفلة التخرج –الحفلة الرسمية التى أقيمت فى "الكونترى كلوب" وعزفت فيها أوركستراتان– كان الوحيد الذى تغيب عنها هو كويار. قلنا له "لا تكن أبله، يجب أن تحضر، سوف نبحث لك عن رفيقة، فقد فاتحت بوسى مارجوت فى الأمر، وكلمت فينا أليسا، وتحدثت تشينا معِ إلينا، وتشابوكا مع فلورا، وكلهن موافقات ويرغبن فى مرافقتك". بيد أنه رفض، "شىء سخيف لبس الحلة المزيلة هذه، أُفَضل أن أراكم بعد الاحتفال". "حسنا يا بيتشوليتا كما تشاء، واعلم أنك تسبح ضد التيار. انتظرنا فى "التشاسكى" الساعة الثانية، سنصطحب الفتيات إلى منازلهن ثم سنتقابل لنشرب كأسًا ونتنزه قليلا"، وهو بحزن "نعم، هذا أفضل".

IV

فى العام التالى، عندما أصبح تشــنجولو ومــاينوكو فــى الصف الأول بكلية الهندسة والتحق لالو بإعدادى طــب وبــدأ تشوتو يعمل فى "لاكاسا وايز"، ولم تعد تشابوكا رفيقة لالو بــل تشنجولو وتشينا صديقة لالو، حضرت إلى ميرافلوس تيرســيتا أرارتى. رآها كويار، فبدأ يتغير. وبين عشية وضحاها ابتعد عن أعماله الجنونية، تخلى عن ارتداء السترات والسراويل الرثــة، وشعره الأشعث. وبدأ يضع رباط العنق، ويرتــدى الســترات، ويسرح شعره على طريقة ألفيس بريســلى، وينتعــل الأحذيــة اللامعة "ما الذى حدث لك يا بيتشوليتا، كدنا لا نتعرف عليك؟!"، وهو بخفة ظل "لا شىء، ليس بى شىء، فقط أردت أن أعتنــى بمظهرى، فما رأيكم؟" وبدأ يحك أظافره فى سترته كما كان يفعل من قبل، "نراك سعيدًا يا صديقى، ما كل هذا التغييــر. أيكــون السبب هو أنك...؟، وهو بعذوبة "ربما"، "أهى تريسيتا؟"، وفجأة، "هل تعجبك؟"، "من الجائز، ربما".

عاد من جديد اجتماعيًّا، شبيهًا جدًّا بما كان عليه من قبل. وأيام الآحاد بدأ يظهر فى قداس الثانية عشرة (أحيانا كنا نــراه يشارك فيه)، وعند الخروج من الكنيسة كان يقترب من فتيــات الحى "كيف حالكن؟"، "كيف حالك يا تريسيتا؟"، "لنــذهب إلــى

الحديقة؟"، "لنجلس على هذا المقعد فى الظل". وفى المساء، عند مغيب الشمس، كان يذهب إلى حلقة التزحلق، يقع ويقوم، ساخرًا ومتحفظًا، "تعالى، تعالى يا تريسيتا"، سوف يعلمها، "وإذا وقعتُ"، "لا عليكِ" لن يحدث ذلك لأنه سيعطيها يده، "تعالى، سنقوم بلفة واحدة فقط"، وتقول بدلال وقد احمر وجهها خجلاً: "حسنًا، ولكن لفة واحدة فقط وبهدوء" فتقول تلك الشقراء، ذات الأسنان التى تشبه أسنان الفأر: "هلم، هيا بنا". بدأ يتردد على "الريجاتس"، وطلب من والده أن يصبحوا أعضاء لأن كل زملائه كانوا يذهبون إلى هناك، ووالده: "حسنا، سأشترى سهمًا، هل ستتعلم التجديف يا بنى؟"، "نعم، وكذلك البولينج بالدياجونال". حتى إنه كان يتنزه يوم الأحد فى حديقة سالاثار، وأصبح دائمًا مبتسمًا. "تريسيتا هل تعرفين فيمَ يتشابه الفيل مع عيسى؟"، "فى خدمة الناس"، خذى نظارتى يا تريسيتا، فالجو مشمس"، أصبح متكلمًا "ما الجديد يا تريسيتا، هل كل شىء على ما يرام فى منزلك؟"، أصبح مضيافًا "هل تريدين أن تأكلى "هوت دوج" يا تريسيتا، أو "ساندوتشًا" أو أن تشربى مخفوق الفاكهة؟".

قالت فينا "ها هو قد حانت ساعته، لقد وقع فى الحب". ردت تشابوكا "إنه مغرم بها، ما إن ينظر إليها حتى يسيل لعابه". وهم فى المساء، حول طاولة البلياردو، بينما كنا ننتظره "هل سيبوح لها بحبه؟"، تشوتو "هل سيجرؤ"، وتشنجولو "هل تيرى

على علم؟". بيد أن أحدًا لم يسأله مباشرة وهو لم يفهم ما نلمح له به. "هل رأيت تريسيتا؟"، "نعم"، "هل ذهبتما إلى السينما؟"، "نعم إلى الحفلة المسائية، فيلم لآفا جاردنر"، "وما رأيك؟ هل هو فيلم جيد"، "رائع، لابد أن تروه، حاولوا ألا يفوتكم". ذات ليلة، خلـــع سترته، شمر أكمامه وأمسك بالعصا ثم طلب جعـــة لنـــا نحـــن الخمسة، بدأ اللعب وبعد تسديدة ماهرة قال بصوت خفيض، ومن غير أن ينظر إلينا: "حان الوقت، سوف يعالجونه". أدخل الكرات وقال إنهم سيجرون له عملية، وهم "ماذا تقول يا بيتشوليتا؟ أحقًا ستجرى لك عملية؟"، وهو كما لو كان لا يرغب فى ذلك "أليس ذلك شيئًا حسنًا؟". "من الممكن ذلك"، "نعم، ولكن ليس هنا بل فى نيويورك، سيأخذنى والدى إلى هناك"، وهم "حقًا يـــا صـــديقى، شيء مذهل ورائع، ياله من خبر! ومتى ستسافر؟"، "قريبًا، فـــى غضون شهر، سأذهب إلى نيويورك"، وهم "هيا اضحك وغـــنِّ وامرح يا صديقنا. يالها من فرحة!". "ولكن الأمر لـــيس أكيـــدًا حتى الآن، ونحن فى انتظار رد الطبيب. لقد راسله أبى، وهـــو ليس فقط بطبيب ولكنه عـــالم، واحـــد مـــن هـــؤلاء العظمـــاء الموجودين هناك". وهو "هل وصل الرد يا والدى؟"، "لا"، وفـــى اليوم التالى "هل هناك رسائل يا أمى؟"، "لا يا قلبى، اهدأ. سوف يصل الرد. لا تكن قلقًا". ثم وصل الرد أخيرًا فأمسكه والده من كتفه "لايمكن إجراء العملية يا بنى، يجب أن تكون شجاعًا". قال

له أصدقاؤه "شيء مؤسف يا رجل"، وهو "لكن يمكن أن نجرب في أماكن أخرى، في ألمانيا مثلاً أو في باريس أو لندن. سوف يبحث والدى الأمر". "سأرسل ألف خطاب يابني، وأنفق كل ما أملك لتسافر وتُجرى لك العملية وسوف تشفى"، ونحن "بالطبع، بالطبع يا صديقى ستشفى". وعندما رجع إلى منزله "مسكين" أسفنا لحاله وكدنا نبكى، وتشوتو "في أى ساعة نحسة جاءت فيها تريسيتا للحى؟!"، وتشنجولو "كان قد اعتاد على هـذا الوضع، ولكنه الآن أصبح يائسًا"، ومونيكو "لكن ربما فيما بعد يستطيع إجراء العملية، فالعلم تقدم كثيرًا، أليس كذلك؟. سيكتشفون شيئًا"، ولالو "لا، فعمه الطبيب قال لا يمكن، ليست هناك وسيلة لذلك، لا حل". وكويار "هل من رد يا والدى؟"، "ليس بعد"، "هل وصل شيء من باريس يا أمى؟" "أو ربما من روما؟" "أو من ألمانيا؟".

وفيما بين ذلك عاد مرة أخرى إلى ارتياد الحفلات، ولكى يمحو سمعته السيئة التى اكتسبها بأعماله الجنونية الشائنة، ولكى يستعيد ثقة كل العائلات أصبحت تصرفاته فى الحفلات وأعياد الميلاد تصرفات فتى مثالى: يحضر فى الوقت المحدد، غير مخمور، حاملاً هدية فى يده "تشابوكيتا كل عام وأنتِ بخير، هذه لك. وهذه الورود لوالدتك. هل حضرت تريسيتا؟" كان يرقص باعتدال وبشياكة، ولم يكن يتحرش برفيقات الرقص، حتى مع الفتيات اللاتى لم يكن يراقصهن أحد، كان هو يدعوهن

لمراقصته. يتجاذب الحـــديث مـــع الآبـــاء والأمهـــات ويقـــدم المشروبات إلى السيدات "هل تريدين كوبًا مـــن العصـــير يـــا سيدتى؟"، ويسأل الرجال "هل تريد كأسًا؟"؛ يثنى بلطف على ما يرتديه الآخرون "كم هى رائعة قلادتك هـــذه!"، "كيـــف يبـــرق خاتمك؟!". أصبح مهذارًا "هل ذهبت إلى السباق ياسيدى، ومتى ستكسب الجائزة الأولى؟"، وأحيانًا مغـــازلا "أنـــت يـــا ســـيدتى كريويا(*) من رأسك حتى أخمص قدميك، من الذى علمك هـــذه الحركات وما الذى تدفعه يا سيد خواكين للرقص هكذا؟".

وعندما كنا نتجاذب أطراف الحديث ونحن جالسون علـــى مقعد فى حديقة أو على مائدة من موائد "الكريم ريكـــا"، أو فـــى الحى، وإذا ما حضرت تريسيتا كان كويار يغير الحديث، كنـــا نقول "يحاول أن يبهرها ويفعل ذلك لإعجابه بها". فيتحدث عـــن أشياء غريبة وصعبة، فى الدين مثلاً (الله الأعظم هل يمكـــن أن يقتل نفسه وهو الخالد؟ ترى من منَّا يمكن أن يحل هذا اللغز؟)، أو فى السياسة (هتلر لم يكن مجنونًا كما يقال، ألم يستطع خلال أعوام قليلة أن يجعل من ألمانيا بلدًا منافسًا لكل بلاد العالم؟ مـــا رأيكم؟) ويتكلم عن تحضير الأرواح (تحضـــير الأرواح لـــيس خزعبلات بل علم. ففى فرنسا كان هناك وسطاء، لا يتحـــدثون

(*) يقصد بها الإنسان الأبيض المولود فى المستعمرات. وفى بيرو يقصد بهـــا المولـــود الأصلى وعكسها الأجنبى. (المترجمة)

فقط مع الأرواح إنما يصورونهم، فقد رأى ذلك في كتاب وعرض على تريسيتا أن يعيرها إياه إذا رغبت في ذلك). أخبرنا أنه سيكمل دراسته "في العام المقبل سوف ألتحق بالجامعة الكاثولكية"، وهي بشغف وقد وضعت يديها الصغيرتين البيضاوين، بأصابعها الممتلئة وأظافرها الطويلة المطلية بلون طبيعي بين عينيه "شيء رائع. وماذا ستدرس؟"، "الحقوق"، وبشجن قالت "يا إلهي، الحقوق، هذا شيء قبيح!"، وهو "سأدرس ذلك لا لكي أصبح محاميًا، ولكن لألتحق بـ"توريه تاجلي"(*) وأصبح دبلوماسيًّا"، انفرجت أساريرها وغمرت السعادة وجهها، وهو "نعم، فالوزير صديق أبي وقد تحدث إليه بهذا الشأن"، "دبلوماسيًّا. آه ما أجمل ذلك!"، وهو بينما يذوب شوقًا "نعم، وهذا يعني سفرًا كثيرًا"، وهي "نعم، ويقضي المرء كذلك حياته في حفلات".

قالت بوسي "إن الحب يصنع المعجزات، فكويار أصبح يعتني كثيرًا بهندامه، أصبح فارسًا"، وتشينا "بيد أن هذا حب غريب، فإذا كان يحب تيري بهذا الشكل لماذا لا يصرح لها بحبه هذا؟"، وتشابوكا "نعم، ما الذي ينتظره؟ فهو يتبعها منذ شهرين، والقول كثير والفعل قليل، ما هذا". وأصدقاؤه فيما بينهم "هل الفتيات على علم؟"، بيد أننا أمامهن كنا ندافع عنه "اصبرن

(*) كان قصرًا للمركيز توريه تاجلي، وهو الآن مقر وزارة الخارجية. (المترجمة)

عليه يا فتيات"، تشينجولو "إنها مسألة كرامة، لا يريد أن يجازف حتى يتأكد من أنها ستقبل به"، ردت فينا، وهى تنظر إلى لالـــو وتشينا اللذين كانا ينظران لبعضهما بحب "بالطبع ستقبل به، ألم تكن تغمز له وتقول له فى مواربة "إنك رائع فى التزحلق، مـــا أجمل سترتك، وكم تدفئنى" وحتى إنها قالت له صراحة عنـــدما كنا نلعب: "ستكون أنت رفيقى"، قال مانيوكو "هذا بالضبط هـــو مربط الفرس، فلأن تيرى بهذا الدلال فلا يمكن معرفة أى شىء منها، فمن الجائز أنها تبدى ذلك ولكن فى النهاية ترفض". قالت فينا وبوسى "كذب"، فلقد سألاها "هل تقبلينـــه؟" وألمحـــت هـــى بالموافقة، تشابوكا "ألا تخرج كثيرًا معه؟ وفى الحفـــلات هـــل تراقص غيره، وفى السينما هل تجلس مع أحد غيره؟ لا يوجـــد شىء أكثر وضوحًا، فهى تهيم به عشقًا". وتشينا "من الأفضل أن يصرح لها بحبه قبل أن تمل من الانتظار، انصـــحوه أن يقـــوم بذلك، وإذا كان يريد أن نهيئ له الفرصة فمثلاً سنقيم له حفلـــة يوم السبت، تكون فى بيتى أو فى بيت تشابوكا أو فينا، يـــرقص معها قليلاً ثم نخرج نحن إلى الحديقة ونتركهما معًا وأعتقد أنـــه ليس هناك أفضل من ذلك". وفى صالة البليـــاردو "لا تعلمـــن، ياالسذاجتهن، أو يالنفاقهن إذا كن يدرين ويخفين ذلك!".

قال لالو فى أحد الأيام "لا يمكن أن يستمر الحال هكـــذا،

فهو يتبعها ككلب. سيجن بيتشوليتا ومن الجائز أن يمـوت مـن الحب، لابد أن نفعل شيئاً"، وهم "نعم ولكن مـاذا؟"، ومـانيوكو "لنتحقق هل تيرى تحبه حقًّا أم أن هذا دلال؟". ذهبوا لمنزلهـا، سألناها، قالوا إنها كانت عليمة بكل شيء، فهى تلعب بالبيضـة والحجر، بمقدورها أن تلتهمهم هم الأربعة. "كويار؟"، جالسة فى شرفة منزلها، "ولكنكم لا تطلقون عليه كويار إنما تنادونه بكلمة بذيئة"، تهز رجليها حتى يقع عليها ضوء عمود الإنـارة، "هـل يموت فىَّ عشقاً؟"، كانتا جميلتين، "وكيف عرفتم؟"، وتشوتو "لا تتماكرى، فأنتِ تعلمين ونحن أيضًا والفتيات وكـل مـن فـى ميرافلورس يتحدث عن ذلك"، وهى بعينهـا، وفمهـا، وأنفهـا الصغير "حقًّا"؟"، وبدهشة وكأنها رأت كائناً من كوكب آخر "هذه هى المرة الأولى التى أسمع فيهـا هـذا الخبـر"، ومـانيوكو "يارتيسيتا، لتكونى صريحة، دون أى تحفظ، ألم تلحظى كيـف ينظر إليك؟"، وهى "آه، آه، آه" تصفق بيديها، وأسنانها، وحذائها، أن ننظر، "فراشة!"، أن نجرى، نمسك بها، ونحضـرها إليهـا، بالطبع كان ينظر إليها "كصديق"، وخلال ذلك، "كم هى جميلـة الفراشة!"، تتلمس جناحيها، أناملها، أظافرها، صوتها الناعم، لقد قتلوا الفراشة، "مسكينة"، لم يقل لها شيئًا، وهم "يا للكـذب، يـا للافتراء! لابد أنه قال شيئاً، ألم يغازلك على الأقل؟"، وهى "لا، أقسم لكم"، وفى حديقتها ستحفر حفرة صغيرة وتدفن الفراشـة،

وهى بلفائف شعرها، ورقبتها، وأذنيها الصغيرتين، أقسمت لنـــا "مطلقاً!"، وتشنجولو "ألم تلحظى كيف كان يتبعك؟"، وتريســيتا "كان يتبعنى كصديق. آه ، آه ، آه"، تخبط برجليها على الأرض، بقبضة يديها، تحدق النظر، "لم تمت المــاكرة، لقــد طــارت!"، خصرها ونهداها، "لا"، "إن لم يكن ذلك، ألم يمسك يــدك علــى الأقل، أليس كذلك؟، أو بمعنى آخر ألم يحاول؟"، "ها هيا، هناك"، بأن نجرى، "ألم يعبر لكِ عن حبــه؟"، ومــرة أخــرى نمســك بالفراشة، قال لالو "إنه خجول، خذيها، ولكن حذار، ستتســخين. وهو لا يدرى هل ستقبلينه يا تريسيتا، هل كنتِ ستقبلينه؟"، وهى "أخ، أخ" قطبت عن جبينها، "لقد قتلوا الفراشة ومزقوها"، أومأت برأسها، رمشت، رفعت حاجبيها، "أقبل من؟"، ونحــن أردفنــا "كيف تقبلين من"، وهى "كان يجب أن أُبقى الفراشة على حالها، وهى ممزقة تمامًا، فلماذا كنت سأدفنها: هكــذا أنــتم يــا أيهــا الرجال!". "من كويار؟"، ومانيوكو "أجل، هل ستقبلينه؟"، هى لا تدرى بعد، وتشوتو "إذا يعجبكِ يا تريسيتا"، وأنها مهتمة بأمره، وهى "لم أقل ذلك؟"، هى فقط لم تكن واثقــة، ســوف تــرى إذا سنحت الفرصة، لكن الفرصة فى رأيها لن تسنح أبدًا، وهم "بــل ستسنح"، ولالو "هل يبدو لكِ وسيمًا؟"، وهى "كويار؟"، مرفقاها، ركبتاها "أجل، هو وسيم نوعًا ما، أليس كذلك؟"، ونحــن نقــول "أترين، أترين، إنه يعجبك؟"، وهى "أنا لم أقــل ذلــك، لا"، وألا

نوقعها فى شرك، "انظروا كم تلمع الفراشات بين زهور الغرنوق فى الحديقة، أم أنها حشرات أخرى؟"، أطراف أناملها، قـدمها، كعب حذائها الأبيض، "ولكن لماذا أطلقنـا عليـه ذلـك اللقـب القبيح؟!"، "كنا مدللين بشكل كبير"، "لماذا لم تطلقوا عليـه لقـب "الفرخ"، أو "البونى" أو "سوبرمان"، أو "الأرنب بياران؟""، "أترين أنت تشفقين عليه للقبه، إذن أنت تحبينه يـا تريسـيتا"، وهـى "أحبه؟"، "قليلاً"، عيناها، قهقهتها، "كصديق، لـيس إلا بـالطبع". نقول "إنها تتظاهر بأنها غير مهتمة به، ولكنها مهتمة مما لا شك فيه، ليصارحها بيتشوليتا وينتهى الأمر، لنتحدث إليه". بيـد أن الأمر كان صعبًا ولم يجرؤوا عليه.

أما كويار، فمن جانبه، لم يحدد هو الآخر موقفه: يـلازم تريسيتا أرارتى ليل نهار، يتأملها، يداعبها، يلاطفها ومن لم يكن على علم بالأمر من سكان ميرافلورس كان يسخر منه، فيقولون له "مزعج، مجرد هيئة جذابة، كلب مطيع"، والفتيات كن يغنـين له "*إلى متى، إلى متى*" لإحراجه وتحفيزه. عندئذ، أخـذناه ذات ليلة إلى سينما "بارانكو"، وعند خروجنا قلنا له "هيا يا صـديقنا، لنذهب فى سيارتك الفورد الكبيرة إلى "الإيـرادورا""، وافقنـا، شربنا جعة ولعبنا كرة قدم، كل شىء كان رائعًـا. ركبنـا فـى سيارته الفورد الكبيرة، أخذنا نصيح، ونتسكع عنـد النواصـى. وفى شارع بحر لوس تشوريوس أوقفنا رجل شرطة، كنا نقـود

بسرعة تجاوزت مائة كيلو مترًا "سيدى"،" يا رجل، ما هـــذا؟ لا تكن شخصًا سيئًا"، طلب رخصة القيادة وأعطيناه مائة بيزيتـــا، "سيدى؟"، "لتشرب نخبًا فى صحتنا، يا رجل، لا تكـــن ســـيئًا". نزلوا عند "الإيرادورا" وجلسوا على إحدى موائد "النشيونال": "يا لهن من فتيات! بيد أن هذه المتحذلقة ليست سيئة، انظـــر كيـــف يرقصن"، كان أكثر تسلية من السيرك. تجرعنا كأســـين، ولـــم يجرؤوا على الحديث، أربعة ولا شيء، وبعد الكأس السادسة بدأ لالو يقول "أنا صديقك يا بيتشوليتا"، ضحك هذا "أبهذه الســـرعة سكرت؟"، ومانيوكو "نحبك كثيرًا يا صديقى"، وهو يضحك "هل ثملت أنت أيضًا، وسكرت سكرًا عاطفيًّا؟"، وتشنجولو "تريـــد أن نتحدث معك يا صديقى، ونريد كذلك أن ننصحك". تغير وجـــه كويار، شحب، شرب نخبًا "كم هو مضحك شكل هـــذا الـــزوج، انظروا؟ هو ضفدع صغير وهى قردة، أليس كـــذلك؟"، ولالـــو "لماذا تتجاهل الأمر، إنك تموت حبًّا فى تيرى، أليس كـــذلك؟"، وهو يسعل، يعطس، ومانيوكو "يا بيتشوليتا، قل لنا الحقيقة، نعم أم لا؟"، وهو يضحك، وبحزن ورجفة وصوت لم يكد يســـمع " نعععم أمووووت فيههها حبًّا". وبعد كأسين أخريين قال كويار "لا أدرى ماذذا أفعل يا تشوتو، ما الـــذى يمكـــن عملـــه؟"، وهـــو "فاتحها"، وهو "لا يمكن يا تشنجوليتو، كيف أصرح لها؟"، وهو "تفاتحها يا صديقى، تصرح لها عن حبك، وستقبل هى"، وهو "لا

لهذا يا مانيوكو، فمن الممكن أن تقول نعم، ولكن مـــاذا بعـــد؟". تجرع جعته وتحشرج صوته ولالو "ماذا بعد؟ لنرجئ ذلك لمـــا بعد، الآن صرح لها بحبك ولا شيء آخر، ربما بعد ذلك تشفى"، وهو "تشوتيتو، وإذا كانت تيرى تعلم بـــالأمر، وإذا كـــان أحـــد أعلمها به؟"، أردفوا "إنها لا تعلم، لقد جعلناهـــا تعتـــرف، إنهـــا مغرمة بك"، عاد إليه صوته "هل تموت حبًّا فى؟"، قلنا "نعم"، هو "قطعًا، وربما فيما بعد أستطيع أن أشفى، ما رأيكم؟"، وهم "نعم، نعم يا بيتشوليتا، وعلى كل الأحوال لا يمكن أن يستمر الحـــال هكذا، تكدر حياتك، تذبل، وتتعاطى الكحول: لتصرح لها وتنتهى من كل ذلك". ولالو "كيف تشك؟" سيصرح لهـــا، وتصـــبح لـــه رفيقة، وهو "ماذا أفعل؟"، وتشوتو "تلمسها"، ومـــانيوكو "تمســـك يدها"، وتشنجولو "تقبلها"، ولالو "تضربها على مؤخرتها"، وهـــو "وماذا بعد؟"، عاد صوته يتحشرج، وهم "ماذا بعد؟"، وهو "بعـــد ذلك، عندما نكبر، وتتزوج أنتَ، وهو، وأنتَ"، ولالو "مـــا هـــذا الهراء، كيف تفكر فى هذه الأشياء من الآن، كما أن ذلك لا يهم. فى يوم ما ستخرجها من حياتك، ستختلق أى عذر وتتشـــاجران وهكذا ستسوى الأمر"، وهو شاء أم لم يشأ التحدث "هذا بالضبط ما لا أرغب فيه، لأننى، لأننى أحبها". بعد برهة – بعد تجـــرع عشرة أقداح– "إخوانى، معكم حق، هذا أفضل شيء: سأصـــرح لها بحبى، وأبقى معها لبعض الوقت ثم أبعدها عنى".

بيد أن الأسابيع مرت ونحن "متى يا بيتشـوليتا؟"، وهـو "غدا"، لم يقرر، سيفاتحها غدًا، "أقسم لكم"، لم نره يتعذب كـذلك لا من قبل ولا من بعد، والفتيات *"إنك تضيع الوقت، وأنت تفكر، وتفكر"* ويغنين له أغنية *"ربما، ربما، ربما"*. عندئذ بدأت أزماته: فجأة يلقى بالعصا وهم بصالة البلياردو، "صارحها يا صديقى!"، بدأ يرفض السجائر والجعة، ويختلق المشكلات مع أى شـخص أو تتساقط الدموع من عينيه، "غدًا، سأصدق هذه المرة"، يقسـم بوالدته أنه سيفعل: "سأصرح لها أو أقتل نفسى". *"هكـذا تمـر الأيام، وأنت تزداد يأسًا..."* أويخرج من الحفلة المسائية بـدور العرض يمشى بشارع "لاركو" وهم من خلفه، يـركض كجـواد جامح "اتركونى ابتعدوا عنى"، يريد أن يكون بمفـرده، ونحـن "صرح لها، يا بيتشوليتا، كفاك معاناة، صرح لها، صرح لهـا"، *"ربما، ربما، ربما"*، أو يدخل إلى "التشاسكى" ويشرب، لالو "كم يحس بالبغض"، حتى يثمل، تشوتيتو "إنه ألـم مؤسـف"، وهـم يرافقونه، "أريد أن أقتل أحدًا يا صديقى!"، يوصلانه شبه محمولٍ حتى باب منزله "يا بيتشوليتا يجب أن تقرر من مـرة واحـدة، صرح لها"، وهن يقلن له صباحًا ومساءً: *"نستحلفك بمن تحـب، إلى متى، إلى متى؟"*. حولوا حياته إلى جحيم، كنا نقول "سينتهى به الأمر إما إلى سكير، أو مطارد، أو مجنون".

هكذا انتهى الشتاء، وحل صيف جديد، ومع قـدوم الحـر وصل إلى ميرافلورس فتى من "سان إيسيدرو" يدرس العمـارة،

لديه سيارة بونتياك وكان سباحًا: كاتشيتو أرنيّا. بدأ يتودد إلـــى المجموعة ولم يرحبوا هم به فى الداية، والفتيات "ماذا تفعل أنت هنا، ومن الذى دعاك؟"، لكن تريسيتا "اتركوه"، مرتديًا قميصًــا أبيض، "لا تضايقوه، كاتشيتو اجلــس بجــانبى"، قبعــة بحـــار وسروالاً من "الجينز"، "أنا دعوته". وهم "يا أخى، ألا ترى؟"، هو "نعم"، "إنه يتودد إليها، أبله، سيأخذها منك، تقــدم أو ســتموت"، وهو "وما الذى سيحدث إذا أخذها منــى؟"، ونحـــن "ألــم تعــد تهمك؟"، وهو "مااا الذذذى يهم؟"، وهم "ألم تعد تحبها؟"، "ماااااذذا يهم حبههها؟".

ومع حلول نهاية شهر يناير صرح كتشيتو لتريسيتا بحبه وقبلت هى ذلك، قلنا: "مسكين يا بيتشوليتا، كم يتألم وكــم هـــى مدللة وشقية، خسيس ما فعلته به". بيد أن الفتيــات الآن بـــدأن يدافعن عنها "لقد فعلت خيرًا، من غيره هو السبب فى ذلـــك؟"، وتشابوكا "إلى متى كانت ستنتظر تيرى المسكينة حتى يقــرر؟"، وتشينا "من الذى فعل خساسة بالآخر، الخسة هو ما فعله هو، لقد أضاع الوقت، وقتًا كثيرًا"، وبوسى "وفضلاً عن ذلك فكاتشـــيتو فتى لطيف"، وفينا "لطيف وجذاب"، وتشابوكا "وكويار خجــول"، وتشينا "مخنث".

V

آنذاك عاد بيتشوليتا إلى سابق عهده. قال لالو "إنه همجى، يركب الموج فى عيد الفصح؟"، وتشينجولو "ليست هذه أمـــواج، بل لُجَب عاتية ذات خمسة أمتار يا صديقى، أمواج هائلـــة، ذات الأمتار العشرة"، وتشوتو "صوتها مخيف، ووصلت إلى أكشـــاك الشاطئ"، وتشابوكا "بل إلى أبعد من ذلك، وصـــل المـــاء إلـــى شارع البحر، وتناثر على السيارات فى الطريق، وبالطبع فمـــا من أحد يستحم". "يفعل ذلك حتى تراه تريسيتا أرارتى؟"، "نعـــم، ليحرج حبيبها؟"، "نعم"، "بالطبع، وكأنه يقول لها انظرى يا تيرى إلى ما أجرؤ عليه ولا يجرؤ عليه كاتشيتو، هل هـــو إذا ســـباح ماهر؟، يبلل نفسه على الشاطئ مثل النساء والأطفال، انظـــرى إلى من أضعته، ياله من همجي!".

قالت فينا "لماذا يهيج البحر هكذا فى عيد الفصح؟"، وتشينا "من الغيظ، لأن اليهود قتلوا المسيح"، وتشوتو "هل قتله اليهود؟"، كان يعتقد أنهم الرومان، يالبلاهته! كنا نجلس على الكـــورنيش، فينا بلباس البحر "تشوتو، ارفع رجليك فى الهـــواء"، مـــانيوكو "ترتطم الأمواج"، وتشينا "الموج يقترب وسيبلل أقدامنا"، تشابوكا "إن الماء بارد جدًّا"، بوسى "وكم هو قذر!"، تشـــينجولو "المـــاء

داكن والزبد بنى"، تريسيتا "محــاط بالأعشــاب والطحالــب"، وكتشيتو أرنيا "وهذا، بست بست، انظــروا، هــا هــو كويــار يقترب". "هل سيقترب يا تريسيتا؟ هل سيتصرف كما لو كان لا يراكِ؟". أوقف الفورد أمام كلوب لإيرادورا "للچاز"، نزل، دخل إلى "لاس جابيوتاس" وخرج مرتديًا لباس البحر، -"لباسًا جديدًا" قال تشوتو، أصفر اللون، ماركة "چانتسن"، وتشنجولو "حتى هذا فكر فيه، فكر فى كل شيء لجذب الانتباه، أرأيت يــا لالــو؟"-، ومنشفة حول رقبته ككوفية، ونظارة شــمس. نظــر بســخرية للمستحمين الفزعين، المنتحين جانبًا بين الكورنيش والشاطئ، ثم نظر إلى الموج الهائج الذى يضرب الرمل ولوح بيده، سلم علينا واقترب. "أهلاً يا كويار، كيف حالك، البحر هائج، أليس كذلك؟"، "مرحبًا، مرحبًا"، وبتعبير ارتسم على وجهه كمن لا يفهم، "ألــم يكن من الأفضل لو أننا ذهبنا للاستحمام فــى حمــام ســباحة "الريجاتس"؟، وعلى وجهه علامات تساؤل "ما الأخبار، كيــف حالكم؟". وأخيرًا وكأنه فهم "هل تقولــون ذلــك بســبب هيــاج الأمواج؟ ماذا حل بكم، ما هذا الذى تقولونه؟"، "ماذا بنا، ما الذى حل بنا؟" (بوسى: "اللعاب فى الفم والدم بالشريان، هــا هــا")، "البحر رائع هكذا، تريسيتا انظرى"، "هــل تتحــدث بصــدق؟"، "بالطبع، فالبحر خيالى، رائع، ولركوب المــوج كــذلك"، "إنــك تمزح، أليس كذلك؟"، يشير بيديه، وكاتشيتو "هل سيتجرأ ويركب

الموج؟"، "بالطبع، إما هكذا وإما على لـوح مـن الفِلِّـين"، ألا تصدقونى؟"، "لا"، "أمن هذا كنتم تضحكون؟، "هل أنتم خائفون؟ حقًّا؟"، وتيرى "وهل أنتَ لستَ خائفا؟"، "لا"، "هـل سـتنزل؟"، "نعم"، "هل ستركب الموج؟"، "بالطبع"، صرخات صغيرة. ورأوه يزيح المنشفة من على رقبته، ينظر إلى تريسيتا أرارتى (لالـو "هل سيحمر وجهها؟"، وتشوتو "لا، مـن تلـك التـى سـيحمر وجهها"، وكاتشيتو؟"، "نعم، فهذا سيغتاظ") ونزل مسرعًا درجات الكورنيش وقذف بنفسه فى الماء. رأيناه يبتعـد سـريعًا عـن الشاطئ ويصل إلى الصخرة بعد وقت قليـل. اقتربـت موجـة فغاص ثم خرج وغاص وظهر، "ماذا يشبه؟"، "سمكة صـغيرة"، شهقة، صرخة صغيرة "أين هو؟"، مرة أخرى، "انظروا إليه، يد صغيرة، هناك، هناك". ورأوه يبتعد، يختفى، يظهر ويصغر حتى وصل إلى أول نشوء الموج. لالو "ياله من موج عـات! عـال، كبير، يرتفع ولا يسقط مطلقا"، فزع، يقفون، قفزات، "هل كـان هذا الشىء الصغير الأبيض؟". بعصبية "نعم". كانوا يرونه يذهب ويجىء، يظهر ويختفى، يتلاشى بين الزبد والأمواج، يتراجـع ويتقدم "ماذا يشبه؟"، "بطة صغيرة، قارب ورق صغير"، وقفـت تريسيتا لتراه أفضل، وقفت تشابوكا، وتشوتو، وقفـوا جميعًـا، حتى كاتشيتو، "ولكن، متى سيركب الموج؟". تـأخر بيـد أنـه تحمس فى النهاية. رجع إلى الشاطئ وبحث عنا وأشار إلينا "مع

السلامة"، وأشاروا إليه بمنشفة صغيرة. ترك الموجة الأولى والثانية، ومع الثالثة رأوه، لمحناه وهو يمد رأسه، يدفع بذراعه لينجرف مع التيار، يفرد جسده ويضرب برجليه بعنف. "تمسك بها، فتح ذراعيه، تسلقها" (قال لالو "موجة ارتفاعها ثمانية أمتار"، "أعلى"، "بارتفاع سقف؟"، "أعلى"، "أو كشلال نياجرا"، "أعلى، أعلى بكثير") ونزل مع أول الموجة يجرفه جبل الماء، ثم ظهرت الموجة العاتية، "هل خرج، هل خرج؟"، واقتربت الموجة مدوية كصوت طائرة تتقيأ زبدًا، "هل رأيتموه، أليس هو الذى هناك؟"، وأخيرًا بدأت الموجة تنخفض، تفقد قوتها وظهر هادئًا، أحضرته الموجة معها بهدوء، مكسوًّا بالطحالب، "كم مكث من غير أن يتنفس"، "يالها من رئة!"، ألقته على الرمل، "يا لقسوته! لقد أفزعنا"، لالو "هذا بالطبع شيء ليس بغريب عليه". وهكذا بدأ من جديد.

فى منتصف هذا العام، بعد العيد الوطنى بقليل، ذهب كويار للعمل فى مصنع والده، قالوا: "سينصلح حاله الآن، سيعود ويصبح فتى جادًا". بيد أن الأمر لم يكن هكذا، بل على العكس. يخرج من المكتب فى السادسة، وفى السابعة يذهب إلى ميرافلورس، وفى السابعة والنصف إلى "التشاسكى"، ينكبّ على طاولة البار يشرب ("قدحًا من العرق يا فتى") ينتظر، وصول أحد من معارفه ليلعب معه الزهر. يمضى أمسياته هناك، بين

الزهر والمنافض المملوءة بأعقاب السجائر، وبين مرتادى الحانات وزجاجات الجعة المثلجة، يقتل الليالى فى مشاهدة عروض المراقص الساقطة ("الناشيونال"، "البنجوينو"، "الأوليمبيكيو"، "التريبيون") أما إذا كان مفلسًا، فينتهى به الحال إلى السكر فى أماكن وضيعة، حيث يمكن أن يرهن فيها قلمه "الباركر"، أو ساعته "الأوميجا"، أو أسورته الذهبية (فى مقصف "سوركيو" أو" البوربنير")، وفى بعض الأصباح نرى وجهه مخدوشاً، مكدوم العين، يده مضمدة، فنقول: "لقد ضاع"، والفتيات "مسكينة والدته" وهم "هل تعلم أنه يجتمع الآن مع المخنثين والقوادين ومتعاطى المخدرات؟". بيد أنه أيام السبت كان يخرج معنا دائمًا. يمر عليهم بعد الغذاء وإذا لم نذهب إلى حلقة السباق أو إلى الاستاد، نذهب إلى منزل تشينجولو أو مانيوكو نلعب البوكر حتى يحل الليل. فنعود لمنازلنا ويستحمون ونصلح من أنفسنا، ويمر عليهم كويار ويحملهم فى سيارته الـNash الضخمة والتى أهداها له والده عندما بلغ سن الرشد "يا بنى قد أكملت واحدًا وعشرين عامًا، الآن بإمكانك أن تدلى بصوتك فى الانتخابات"، ووالدته "يا قلبى، لا تَقُدْ بسرعة، فى يوم من الأيام ستقتل نفسك". كنا نتناقش بينما نحتسى قدحًا صغيرًا لنروح عن أنفسنا فى المقهى الذى يقع عند الناصية، "هل سنذهب إلى المطعم الصينى؟ أو إلى شارع كابون؟"، نحكى النكات، "هل

سنأكل اللحم المشوى على الفحم تحت الجسر؟"، وكان بيتشوليتا فى الحكى بطلاً، "إلى محل البيتزا؟"، "هل تعرفون مزحة ما قالته الضفدعة الصغيرة، ونكتة الجنرال، وإذا كان تونيتو ميا قد جرح نفسه وهو يحلق ذقنه"، "احكِ لنا ماذا حدث." يغوص فى الضحك، "ها ها ها، كان المسكين أبله".

بعد تناول الطعام، بعد أن أثارت النكات شهواتنا، ذهبنا نجوب المواخير، نحتسى الجعة، بشارع فيكتوريا، ثم المحادثة، وبعد ذلك حى "أوانوكو"، وصلصة الصويا والفلفل، وإلى شارع الأرجنتين، ثم توقفنا فى "الأمباسى" أو فى "الأمبسادور" لنرى من البار، أول عروض المساء، وينتهى غالبا بنا الحال بشارع "جراو"، عند نانيت. ها قد جاءوا من حى ميرافلورس، لأنهم كانوا معروفين هناك، "مرحبًا يا بيتشوليتا"، بأسمائهم وألقابهم، "كيف حالك؟"، وكانوا هم وفراشات الليل يموتون ضحكًا "حسن". كان الغضب ينتاب كويار، وفى بعض الأحايين كان يعنفهن ويذهب بعد أن يصفق الباب، "لن أعود أبداً"، ولكن فى أحايين أخرى كان يضحك ويداعبهن أو يراقصهن، أو يجلس إلى جوار الفونوغراف وفى يده قدح من الجعة، أو يتحدث إلى نانيت، وينتظر إلى أن يختار كل واحد منهم فتاة له، نصعد وينزلان، فيقول تشنجولو "ما أسرعكم، كيف كان الحال؟"، أو "كم تأخرت يا مانيوكو؟"، "أو خذ حذرك لأننى أراك من ثقب المفتاح"،

وتشوتو "لديك شعر فى مؤخرتك يا لالو". وفى أحد أيام السبت تلك، حين عادوا إلى الصالون، لم يكن كويار هناك، وقالت نانيت "وقف فجأة، دفع ثمن جعته ورحل، ولم يسلم حتى علىَّ". فخرجنا إلى شارع "جراو" وهناك وجدناه، منكفئًا على مقود السيارة الـ Nash، يرتجف، "ماذا حدث لك يا أخى"، قال لالو إنه كان يبكى، وهم "هل أنتَ تعبان يا صديقى؟ هل سخر منك أحد؟، وتشوتو "من سبّك؟، قل من، وسندخل ونوسعه ضربا"، وتشنجولو "هل راحت الفتيات تسخرن منك؟"، ومانيوكو "إنه لا يبكى لحماقة كتلك، أوليس كذلك؟ لا عليك منهن يا بيتشوليتا، هيا، كف عن البكاء"، وهو وقد حضن المقود، تنهد وقال بصوته الكسير "لا"، ينهْنِه "لم يضايقنى أحد"، وبدأ يمسح عينيه بمنديله، "لم يسخر منى أحد، من الذى يجرؤ على ذلك". فقالوا له: "هدئ من روعك يا رجل، إذن لماذا أنت هكذا يا أخى، هل شربت كثيرًا؟"، "لا"، "هل أنت مريض؟"، "لا، لا شىء، أنا الآن أفضل"، ربتوا على كتفه وشجعوه "هيا يا رجل، هيا يا بيتشوليتا". ليهدئ من روعه، وليضحك، وليُدرْ سيارته الـ Nash القوية، "لنبتعد عن هنا". قالوا إنهم سيشربون القدح الأخير فى "التوربيون"، "سنصل مع ميعاد العرض الثانى تمامًا، هيا يا بيتشوليتا"، ليتحرك ولا يبكى. أخيرًا هدأ كويار، قاد السيارة وعند وصولهم شارع ٢٨ يوليو كان قد ضحك، وفجأة قطب عن جبينه، "كن

صادقًا معنا، ما الذى حدث"، وهو "لاشــىء، يــا إلهــى، فقــط أحسست ببعض الحزن، لا شيء آخر"، وهم "لماذا فحياتك كلها ملذات وأصدقاء"، وهو "ومن أشياء كثيرة أخــرى"، ومــانيوكو "ماذا مثلاً؟"، وهو "مثلا بأن يسيء الرجال كثيرًا إلى الله"، ولالو "ماذا، ما هذا الذى تقوله؟"، وتشوتو "تريد أن تقول إنهم يخطئون كثيرًا؟"، وهو "نعم، مثلا"، "إن هذا لهراء، أليس كذلك؟"، "نعــم، وأيضًا فلأن الحياة مملة جدًّا"، وتشنجولو "يا رجل كيــف هــى مملة، إنها حياة مترفة"، وهو "لأن الشخص يقضى حياته يعمــل أو يحتسى الخمر أو يلهو، كل يوم الشيء نفسه، وفجأة يشــيب ويموت، إنها لبلاهة! أليس كذلك؟"، "نعم"، "هذا ما كنت تفكر فيه وأنت عند نانيت؟، وحدث ذلك أمام فراشات الليل؟"، "نعم"، "وهل من هذا كنت تبكى؟"، "نعم، ومن الحزن علــى الفقــراء، علــى الأكفَّاء، على العرج، على هؤلاء الشحاذين الذين يطلبون الحسنة فى أزقة "لاأونيون"، ومن أجل باعة "لاكرونيكا" الجائلين، إننــى لأبله، أليس كذلك؟ ومن أجل هؤلاء الفتية الذين يمسحون الأحذية بميدان سان مارتين، يا للغباء! أليس صحيحًا؟"، ونحن "بالطبع، ما هذه البلاهة! ولكن الآن قد ذهب عنك كل ذلك؟"، "بالتأكيــد"، "إذن لتضحك حتى نصدقك"، "ها ها". "أسرع يا بيتشــوليتا، زد من السرعة، اضغط على الدواسة حتى نهايتهــا"، "كــم كانــت الساعة؟"، "متى يبدأ العرض، من منكم يعرف؟". "هــل ســنجد

الفتاة الكوبية نفسها؟، ماذا كان اسمها؟"، "آنا"، "ماذا كانوا يطلقون عليها؟"، "لا كايمانا، هيا يا بيتشوليتا، أثبت لنا أن الحزن ذهب عنك، هيا اضحك"، "ها ها".

VI

عندما تزوج لالو من تشابوكا، في العام نفسه الذي تخرج فيه مانيوكو وتشينجولو من كلية الهندسة، جرت عدة حوادث لكويار: أصبحت سيارته الفولفو كثيرة الصدمات، مُحى طلاؤها، وتهشم زجاجها. "ستقتل نفسك يا حبيبى، لا تقم بهذه الأعمال الجنونية"، ووالده "هذا غير محتمل يا بنى، متى ستتغير، أى حماقة أخرى كتلك لن أعطيك بعدها سنتًا واحدًا، لابد أن تتروى وتصحح من نفسك، إن لم يكن من أجلك فمن أجل والدتك، هذا الكلام من أجل مصلحتك". ونحن "أنت كبير بما يكفى يا بيتشوليتا على أن تخالط مثل هؤلاء السفهاء". فيقول إنه سعيد بذلك. فكان يمضى الليالى فى مراهنات مع من يترددون ليلاً على "التشاسكى" أو "الدونوفريو"، أو يمضيها فى الحديث وشرب الخمر مع المخنثين، ورجال مافيا "الهايتى" (ونتساءل: "فى أى ساعة يعمل؟ أو أنه لا يعمل؟")، أما فى الصباح، فكان يتسكع بين أحياء ميرافلورس، أو يقف عند النواصى مرتديًا ملابس

على طريقة "جيمس دين" (سروالاً ضيقًا من الچينس، وقميصًا ملونًا مفتوحًا حتى سرته، ومن رقبته تتدلى سلسلة من الذهب يغطيها شعر صدره، وحذاء من الموكاسين الأبيض)، يلعب الدوامة بعلب الكوكاكولا الفارغة، أو يركل بقدمه كرة فى باب جراچ، أو يعزف الهارمونيكا. وكانت سيارته دائمًا تعج بفتيان من "الروك أند رول" تتراوح أعمارهم بين الثالثة عشرة والخامسة عشرة عامًا، وأيام الآحاد يظهر فى "الويكيكى" ("اجعلنى عضوًا بالنادى يا والدى، فالألواح الهاوايانية هى أفضل الرياضات وتساعد على عدم السمنة"، ويستطيع والده هو أيضًا اصطحاب والدته للغذاء على شاطئ البحر، عندما تكون الشمس ساطعة) مع مخلوقات غريبة "انظروا، انظروا إليه، ها هو، ياللعظمة، ويالها من صحبة! وياللوقاحة! وكان يأخذ كل واحد منهم على اللوح الهاواياني ويحملهم عليه إلى ما بعد الصخرة. ويعلمهم قيادة سيارته الفولفو، ويتباهى أمامهم وهو يقود السيارة فى منحنيات شارع البحر على عجلتين، ويأخذهم كذلك إلى الاستاد، إلى "الكاتشسكان"، إلى مصارعة الثيران، إلى حلبات السباق، وصالات البولينج، ومباريات البوكس. كنا نقول "الآن قد ساء الحال: أصبح مخنثًا"، "لم يتبقَ أمامه غير هذا الطريق"، تفهمنا موقفه، عذرناه "يا صديقى"، بيد أنه أصبح من العسير علينا الاختلاط به، ففى الطريق أصبح الناس ينظرون إليه،

يصفرون له، ويشيرون عليه، وتشولو "وأنتَ، هل أهمك كثيـــرًا ما يقولون"، ومانيوكو كان يعنفه، ولالو "لو رأونا معه كثيـــرًا"، وتشنجولو "سيظوننا مثله".

أمضى وقتًا يمارس فيه الرياضة، قالوا "يفعل ذلك فقط من أجل التباهي: بيتشوليتا كويار بطل سباق السيارات كما كان من قبل بطل ركوب الأمواج". اشترك في "سباق الأتوكونجو" وفاز بالمركز الثالث. في جريـــدتي "لا كرونيكـــا" و"الكومرثيـــو"(*) ظهرت صورته وهو يهنئ الفائز، قال كويار، الخاســـر، علـــى سبيل المجاملة: "كان أرنالدو ألبارادو(*) هو الأفضل". بيد أنه بعد ذلك بقليل أصبح أكثر شهرة، وذلك، عندما راهن علـــى ســـباق يُجرى في الفجر، بينه وبين كينكي جانوثا، مـــن ميـــدان ســـان مارتين حتى حديقة ثالاثار، على أن يسلك كينكي الطريق السليم، وهو يقود عكس الاتجاه. تبعته عربات الدورية من شارع خابيير برادا، ولم تلحق به إلا بشارع الثاني من مايو، كم كان ســـريعًا. أمضى يومًا بقسم الشرطة وقلنا "هل ذلك كان كافيًا، وهل بعـــد هذه الفضيحة سيتعلم ويصلح من نفسه؟". إلا أنه بعد أسابيع قليلة من ذلك وقع له أول حادث خطير، وذلك عندما كان يقوم بمسيرة

(*) جريدة ظهرت في ليما عام ١٩٣٩، وكان لها تأثير على الحياة العامـــة فـــي الـــبلاد. (المترجمة)

(*) شخصية حقيقية، وبطل سباق سيارات. (المترجمة)

الموت – اليدان محزومتان على المقود، العينان معصوبتان– فى شارع "أنجاموس". أما الحادث الثانى، فكان بعد ذلك بثلاثة أشهر، فى الليلة التى أقمنا فيها حفلة توديع عزوبية لالو. قال له تشينجولو "كفى، واترك تلك الأعمال الصبيانية، قلت لك توقف، توقف فلقد كبرنا على هذا المزاح ونريد أن ننزل من السيارة". لكنه لم يكن يلعب، وتعجب مما يحدث لنا "ماذا بكم؟ ألا تثقون بالبطل؟، هل أصبحتم كهولاً جبناء؟، لن تتبولوا على أنفسكم، ألا يوجد ماء مسكوب عند أحد النواصى حتى ننزلق ونحن نعرج؟". كان متوترًا ولم يستطيعوا إقناعه "كويار، يا صديقى، كفاك ذلك، احملنا إلى منازلنا. حفلة زواج لالو غدًا، ولا نريد أن نحطم قلبه هذه الليلة، لا تكن مستهترًا. لا تصعد على الرصيف، لا تتخطَّ الإشارة الحمراء بهذه السرعة، لا تنغص حياتنا". وفى شارع "الكانفورس" اصطدم بسيارة أجرة، لم يصب لالو بشىء، ولكن وجهَى مانيوكو وتشوتو قد تورما، أما هو فقد تهشمت له ثلاثة ضلوع. تشاجرنا وبعد فترة اتصل بهم تليفونيا وتصالحنا. خرجوا وتناولوا الطعام معًا، بيد أنه فى تلك المرة شىء ما انكسر بينهم وبينه ولم يعودوا مطلقًا كما كانوا من قبل.

منذ ذلك الحين كنا نراه قليلاً وعندما تزوج مانيوكو أعلمه بخبر زواجه ولم يدْعُه. لم يذهب هو إلى حفلة توديع العزوبية. وعندما عاد تشينجولو من الولايات المتحدة مصطحبًا معه

زوجته الأمريكية الجميلة وطفليه اللذين كانا يتحدثان الإسبانية بركاكة، كان كويار قد رحل إلى الجبل، إلى "تينجو ماريا"، لزراعة القهوة، هذا ما قالوه، وعندما كان يحضر إلى ليما ويتقابل معهم فى الشارع، كنا بالكاد نسلم على بعضنا "كيف حالك"، "كيف حالك أنت يا بيتشوليتا، كيف تمضى حياتك يا أخى"، "إنها تمضى"، "إلى اللقاء". ثم عاد إلى ميرافلورس، أكثر جنوناً. توفى وهو ذاهب للشمال، "كيف؟"، "فى حادث"، "أين؟"، "عند منحنيات باسامايو الخادعة"، "مسكين"، قلنا ونحن فى الجنازة "كم عانى، يالها من حياة تلك التى عاشها! لكن هذه النهاية هى أمر كان يسعى إليه".

ها قد أصحبوا رجالا بمعنى الكلمة، كان لكل واحد منّا زوجته، سيارته، أطفاله الذين يدرسون بمدرسة "تشامبجنات"، "لاإنماكولادا" أو "سانتا ماريا"، ولكل واحد منهم منزل صغير فى "أنكون"، "سانتا روسا" أو عند شاطئ الجنوب لقضاء أشهر الصيف. وقد بدأت أجسامنا تمتلئ، ويزحف الشيب إلى رءوسنا، وبرزت الكروش، وتراخت الأجساد، وبدأنا نرتدى نظارات للقراءة، نشعر بتعب بعد الطعام والشراب، وبدت التجاعيد تعرف طريقها إلى جلودنا.

المؤلف فى سطور

ماريو بارغس يوسا

- ماريو بارغس يوسا (١٩٣٦-)، من بيرو، يعد من أشهر الكتاب المعاصرين المتحدثين بالإسبانية.
- نشرت له المجموعة القصصية "*الرؤساء*" عام ١٩٥٩ ورواية "*الجراء*" عام ١٩٦٧، إلا أنهما منذ عام ١٩٨٠ تظهران فى مجلد واحد. وقد اختير هذا المجلد عام ١٩٩٩ ضمن أفضل مائة عمل للألفية.
- وبارغس يوسا، فوق ذلك، أكاديمى أيضًا، حصل على الدكتوراه من جامعة مدريد برسالة عن الروائى الكولومبى غارثيا ماركث، وله عدد من الدراسات النقدية المهمة تضعه بين العلماء المتبحّرين فى جنس الرواية والمُنظِّرين لها.
- كما عمل بارغس يوسا فى السينما بكتابة السيناريو لعدد من الأفلام المأخوذة من أعمال روائية له ولغيره من الكُتّاب، ومنها قصة "*الجِراء*" التى مُثلت فى السينما عام ١٩٧٣، وقام بإخراجها "أنور باديم".
- عمل أيضًا فى الصحافة وله عدد من الكتب التى تضم مقالاته الصحفية.

- نال بارغس يوسا الدكتوراه الفخرية من عدد كبير من الجامعات فى أوربا وأمريكا، وفى ١٩٩٤ أصبح عضوًا فى مجمع اللغة الإسبانية فى مدريد.
- قائمة بأعمال بارغس يوسا الروائية:

الرؤساء (١٩٥٩)، المدينة والكلاب (١٩٦٣)، المنزل الأخضر (١٩٦٥)، الجِراء (١٩٦٧)، محادثة فى الكاتدرائية (١٩٦٩)، بنتاليون والزائرات (١٩٧٣)، العمة خوليا والكاتب (١٩٧٧)، حرب نهاية العالم (١٩٨١)، حكاية مايتا (١٩٨٤)، من الذى قتل بالومينو موليرو؟ (١٩٨٦)، المتكلم (١٩٨٧)، مديح إلى زوجة الأب (١٩٨٨)، ليتوما فى جبال الأنديز (١٩٩٣)، دفاتر السيد ريجوبيرتو (١٩٩٧)، حفلة الجدى (٢٠٠٠)، الفردوس على الناصية المقابلة (٢٠٠٣)، عبث الطفلة الشريرة (٢٠٠٦).

المترجمة فى سطور

هالة عبد السلام أحمد

- د. هالة عبد السلام أحمد، مدرس الأدب الإسبانى والترجمة بكلية الألسن جامعة عين شمس.
- لها عدة مترجمات إلى العربية.
- ترجمت لكل من: - خوليو كورتاثر
  - خوسيه ماريا مرينو
  - بويرو باييخو
  - ماريو بارغس يوسا
  - وجزء من مخطوطة دومينجو باديا
- لها دراسات بالعربية والإسبانية نشرت بمصر والخارج.

المراجع فى سطور
محمد أبو العطا

- د. محمد أبو العطا، أستاذ الأدب الإسبانى والترجمة بكلية الألسن جامعة عين شمس.
- له عدة مترجمات إلى العربية.
- عضو اتحاد الكتاب ولجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة.
- له نحو عشرين مجلدًا مترجمًا إلى العربية والإسبانية.
- ترجم لكل من:
  - غارسيا لوركا
  - خورخى لويس بورخس
  - بيوى كسارس
  - خوليو كورتاثر
  - كاميلو خوسيه ثيلا
  - غارسيا ماركث
  - رامون خوتا سندير
  - خيسوس باردو
  - إدواردو ميندوثا
- كما ترجم عددًا من الدراسات الأدبية إلى العربية أهمها مجلد "مسار الرواية الإسبانوأمريكية" و"الرواية الإسبانية المعاصرة".

- راجع وقدَّم لعدد مماثل من الترجمات إلى العربية.
- له نحو خمسين دراسة بالعربية والإسبانية نشـــرت بمصـــر والخارج.

التصحيح اللغوى: نجــاة على
الإشــراف الفنى: حسن كامل

عندما نشر ماريو بارغس يوسا "الجراء" (1967) كان وقتها كاتبًا متمرسًا فى أوج مكانته الأدبية. وهذه الرواية القصيرة عمل يبحث فى كل لحظة عن صوت جمعى يتأرجح بين راوٍ وآخر، بين ذاتية وموضوعية. وقد أثارت الرواية جدلاً واسعًا وتأويلات عدة، فقيل إنه تصوير للشباب، ورمزية لعجز طبقة اجتماعية بعينها، وقيل إنه رمز لبتر قيمة الفنان فى دول العالم الثالث، إلى غير ذلك...

وكل واحدة من تلك التأويلات يمكن أن تكون صالحة؛ لأن "الجراء" هى من التكثيف بمكان، ذات طابع مبهم تتسم به فى العادة الأعمال الروائية العظيمة.

الغلاف/ نسرين كشك